الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

العدد ١٧٥ — ٩ نوفمبر سنة ١٩٣٦ — السنة الرابعة

4 me Année, No. 175

Lundi - 9 - 11 - 1936

بدل الاشتراك عن سنة

مـ

٦٠ في مصر والسودان

٨٠ في الأقطار العربية

١٠٠ في سائر الممالك الأخرى

١٢٠ في العراق بالبريد السريع

١ ثمن العدد الواحد

مكتب الاعلانات

٣٩ شارع سليمان باشا بالقاهرة

تليفون ٤٣٠١٣

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire

Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الادارة

بشارع المبدولى رقم ٣٢

عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العــدد ١٧٥ « القاهرة في يوم الاثنين ٢٤ شعبان سنة ١٣٥٥ — ٩ نوفمبر سنة ١٩٣٦ » السنة الرابعة

فهرس العــــدد

من ذكريات بغداد

الحلقـــة ...

ذلك اسم كان[1] يطلقه الزعيم (ياسين) على ستة من الإخوان جمعهم تشابه الذوق ، وألَّف بينهم تجانس الهوى ، فتساهموا الصفاء ، وتقاسموا المودة ، وخلطوا حياتهم بحياة بعض ، فما كانوا يفترقون أصائل الأيام ولا عشايا الليالى . كانوا يتخذون سامرهم كل ليلة فى دار أحدهم ، فيتحلقون على مائدة الشاى السخية ، أو يتقابلون أمام المدفأة الواهجة ، ثم يديرون بينهم سِقاط الحديث على أروع ما تُشققه الأذهان الخصيبة من براعة الفكرة وملاحة النكتة وطلاوة الخبر وسلامة النقد وصحة الحكم ، فلا يدعون شأناً من شؤون الحياة ، ولا وجهاً من وجوه السياسة ، ولا أمراً من أمور البلد ، إلَّا تناولوه باللسان المرهف والفؤاد اليقظ والنظر المستقل ؛ فهم معارضون ولا لسان لهم فى حزب ، ومصلحون ولا يدَ لهم فى زعامة

كانوا يمثلون نواحى النشاط الفكرى فى العراق أصدق التمثيل ؛ ففيهم رجل الجيش ، ورجل التعليم ، ورجل القانون ،

(١) كان ذلك فى سنة ١٩٣٢

ورجل الطب ، ورجل المال ، ورجل الشعب ؛ ذلك إلى امتياز كل منهم بسمة من سمات الطبع وصفة من صفات الخُلُق ؛ فطه الهاشمى(1) عذب الروح ، سَرِىُّ الأخلاق ، وقور النفس ، مصروف الهم إلى القراءة المنتجة والتأليف المحكم فيما يتصل بالتاريخ والحرب ، ولو تُرك إلى نفسه لما خرج من مكتبته ولا قام عن مكتبه ؛ وناجى الأصيل(2) نبيل العاطفة ، حلو الفكاهة ، سمح القيادة ، أفلاطونى النزعة ، يعيش فى السماء ويحلم دائماً بالمدينة الفاضلة ؛ ويوسف عز الدين(3) متئد اللسان ، حصين الصدر ، سريع الفطنة ، يتبسط فى هزل الكلام ويتحوّط فى جده ، وهو لا ينفكُّ لإخوانه موضع السرّ ومرجع المشورة ؛ وكامل الجادرجى(4) متوقد الذكاء ، متمرد الطبع ، متوثب العزيمة ، دائب الحركة ، صليب الرأى ، يدين بالديمقراطية ، ويميل إلى الاشتراكية ، ويرفرف بجناحيه على الفلاح والعامل والعاطل ؛ وموفّق الألوسى(5) طموح القلب ، سريع البادرة ، بارز الشخصية ، يعتد برأيه إلى حد العناد ، ويعتز بنفسه إلى حد المخاطرة ؛ وشوكت الزهاوى(6) واسع البال ، ضيق الأفق ، قد قصر جهده على عمله فلا يكاد يطمع فى شىء ، ولا يشارك فى رأى ، ولا يحفل بحادث ؛ وأولئك كانوا لِما اجتمع لهم من ضروب الثقافة وشتى الخلال صورة مصغرة للأمة ، يعيشون منعزلين وهم فيها ، ويفكرون مستقلين وهم منها ، كأنهم كانوا لآمالها رموزاً تميز تميز العنوان ، وتنفرد انفراد العلم . كانوا جميعاً فى ربقة الحكومة إلا كاملاً ، فكان للجماعة الكلمة الحرة والفكرة الطليقة . وقف على السياسة الصريحة قواه ، وأيقظ لأطوارها المختلفة رأيه ، فكان يناصر الحزب ما دام معارضاً ، فإذا قَبِلَ الحكم تركه إلى غيره ، حتى انفرد ذات يوم بالمعارضة . كان اليد اليمنى لياسين فى حزب الإخاء الوطنى ، وياسين أمل البلاد المرجو وزعيمها المنتظر ، فلما رآه يقصد الحكم عن طريق الملاينة والمسايرة خالفه ومعه مقاعد البرلمان ووظائف الديوان ومزايا السلطة ، وخرج مُغاضباً إلى الجهاد بالنفس والمال ، فزاول المحاماة ، وعالج الصحافة ، ولقى فى سبيل ذلك ما يلقى المعارضون المتزمتون من الضيق والعنت

* * *

كان لى فى هذه (الحلقة) كرسى وثير دائم ، يحيطه الإخوان بالعطف ويخصونه بالكرامة ؛ وكنت أجد فى نفسى من الأنس بهم والطمأنينة إليهم ما لا أجده لجماعة أخرى ، فكنت أناقلهم شجون الحديث فأعلم منهم ما لا أقرأ فى الصحف ولا أسمع من الناس ولا أرى فى الحكومة . كانوا يحملون فى نفوسهم آمال العراق الناشئ ، وفى رؤوسهم ثورة الشباب الجديد : سياستهم الجماعة قبل الفرد ، والعامة قبل الخاصة ، والعراق قبل العروبة . ولكن آراءهم كانت فى رأيى أشبه بأحلام الفلاسفة تحت رواق المعبد ؛ لأنك إذا استثنيت كاملاً لا تجد فيهم من يفكر فى انقلاب أو يجهر بمعارضة

تركتُ العراق وفيصل ونورى وجعفر قد مكّنوا لدولته بالمرونة اللبقة والسياسة التجارية التى تعطى لتأخذ ؛ وكان شباب البلاد قد سئموا سياسة الأمر الواقع وبَرِموا بالإرداة المطلقة ، فتمنوا حكومة زعيمهم المحبوب ياسين ؛ وتسلم ياسين مقاليد الأمور ، وانضوى إليه رفيقاه ، وآل إليهم سلطان البلاط بالفعل ، ونفوذ (دار الاعتماد) بالقانون ؛ وسارت السفينة آمنة — كما يرى البعيد — من الألغام والصخور ، ثم تفرقت السبل بعدئذ برجال الحلقة

* * *

طخ ! طخ ! طخ ! ثلاث قنابل ألقتها ثلاث طوائر على سراى الحكومة ! فروّعت الموظفين وأفزعت الأهلين ، فأخلوا السراى وأغلقوا المدينة ! ماذا ؟ الجيش الثائر يحاصر بغداد ويطلب إلى المليك إقالة الوزارة ! وبكر صدقى الفاتك الطماح يقترح للوزارة الجديدة حكمت سليمان ! وحكمت سليمان يُدخل فى وزارته الحلقة ما عدا طرفيها . لقد كان صديق الحلقة ، وكان فى معارضته من طراز (كامل) لا يحفل الثراء ولا يبالى المنصب ، حتى رووا أنه ضاق يوماً براتب سائقه فذهب به إلى قائد الشرطة يرجو منه أن يجد له عملاً يعيش عليه !

احمد حسن الزيات

(1) رئيس أركان الجيش (2) مدير دار المعلمين العليا (3) مراقب الميزانية (4) من سراة بغداد (5) مدير كلية الحقوق (6) طبيب بالصحة

٢ – القلب المسكين (١)

للأستاذ مصطفى صادق الرافعي

أما صاحب القلب المسكين فرأى الضحكة التي ألفت بها صاحبته وهي ترقص حين عرفته — غيرَ ما رأيتها أنا وغيرَ ما رأى الناس . كانت لنا نحن ابتساماً عذباً من فم جميل يتمُّ جماله بهذه الصورة ، وكانت له هو لغة من هذا الفم الجميل يُتم بها حديثاً قديماً كان بينهما . واعترانا منها الطربُ واعتراه منها الفكر ، ووصفت لنا نوعاً من الحسن ووصفت له نوعاً من الشوق ، ومرت علينا شعاعاً في الضوء ووقعت في يده هو كبطاقة الزيارة عليها اسم مكتوب . . .

وقوى إحساسُ الراقصة الجميلة بعد ذلك فانبعث يدلُّ على نفسه ضروباً من الدلالة الخفية ، ورجعت بهذا الاحساس كالحقيقة الشعرية الغامضة المملوءة بفنون الرمز والأيماء وكأنها زادت بهذا الغموض زيادة ظاهرة ، والمرأة لحظاتٌ تكون فيها بفكرين حينما يكون أحدُ الفكرين ماثلاً أمامها في رجل تهواه ؛ ففي هذه الساعة تتحدثُ المرأة بكلام فيه صمت يشرح ويفسر ، وتضطرب بحركة فيها استرخاءٌ يميل ويعتنق ، وتنظر بألحاظ فيها انكسارٌ يأمر ويتوسل ، وكانت هي في هذه الساعة ... فغلبت والله على صاحبها المسكين وتركت نفسه كأنها تتقطع فيه من أسفٍ وحسرة ؛ ثم كانت له كالزهرة العبقة بينه وبينها جمالها وعطرُها وهواؤها والحاسةُ التي فيه

وجعل يستشفُّها من خِلال أعضائها وهي ترقص ، ثم قال لي : انظر ويحك ! لكأنَّ ثيابها تضمُّها وتلتصق بها ضمَّ ذي الهوى لمن يهوى

قلت : ما هي إلا كهاتين اللتين ترقصان معها : امرأة بين امرأتين وإن كانت أحسن الثلاث

قال : كلا ، هذه وحدها قصيدة من أروع الشعر تتحرك بدلاً من أن تُقرأ ، وتُرى بدلاً من أن تُسمع ؛ قصيدة بلا ألفاظ ولكنَّ من شاء وضع لها ألفاظاً من دمه إذا هو فهمها بحواسـ وفكره وشعوره .

قلت : والأخريان ؟

قال : كلا كلا ، هذا فن آخر ، فالواحدة من هؤلا المسكينات إنما ترقص بمعِدَتِها . . . ترقص للخبز لا غير أما (تلك) فرقصها الطرب مصنوعاً على جسمها ومصنوعاً مز جسمها ؛ إنها كالطاووس يتبختر في أصباغه ، في ريشه ، ؤ خُيلائه ، بخترةً يضاعفها الحسنُ ثلاثَ مرات . ولو خلق الا جسمين أحدهما من الجواهر أحمرِها وأخضرِها وأصفرِه وأزرقها ، والآخر من الأزهار في ألوانها ووشْيها ، ثم اختا الطاووس بينهما ناشراً ذيله في كبرياء روحه الملوَّنة — لظهر في وحدهُ اللون الملِكُ بين ألوان هي رعيته الخاضعة

***

وانتهى رقص الحسناء الفاتنة وغابت وراء الستارة بعد أز أرسلت قُبلةً في الهواء ... فقال صاحبنا : آه لو أن هذه الحسنا تصدقت بدرهم على فقير ، لجعلته لمسة يدها درهما وقُبلة ...

قلت : ياعدوَّ نفسه ؛ هذه قبلة مُحرَّرة مسددة وقد رأيتہ وقعتْ هنا ... ولكنك دائماً في خصام بين نفسك وبين حقائز الحياة . تعشق القبلة وتخاصم الفم الذي يلقيها ، وتبنى العُشر وتتركه فارغاً من طيره . إن المرأة التي تحبك لا بد أن تنتهى إإ الجنون ما دامت معك في غير المفهوم وغير المعقول وغير الممكز

ثم بدأ فصل آخر على المسرح وظهر رجال ونساء وقصة وكان من هؤلاء الرجال شيخ يمثل فقيها وآخر يمثل شُرطياً فقال صاحبنا الفيلسوف : لقد جاءت هذه الثيابُ فارغة وكأ الآن تنطق أن صحة أكثر الأشياء في هذه الحياة صحة الظاهـ فقط ما دام الظاهر يُخلع ويلبس بهذه السهولة ؛ فكم في هـ الدنيا من شرفاء لو حققت أمرهم وبلوت الباطنَ منهم لرأيتہ إنما يشرِّفون الرذائل لأنهم يرتكبونها بشرف ظاهر .... و من أغنياء ليس بينهم وبين اللصوص إلا أنهم يسرقون بقانون . وكم من فقهاء ليس بينهم وبين الفَجَرة إلا أنهم يفجرو بمنطق وحجة ... ليست الانسانية بهذه السهولة التي يظنها

(١) نشرت المقالة الأولى في العدد ١٧٣ من الرسالة

يظن وإلا ففيم كان تعبُ الأنبياء وشقاء الحكماء وجهادُ أهل النفوس ؟

العقدة السماوية في هذه الأرض أن الله سبحانه وتعالى لم يخلق الانسان إلا حيوانا متلطّفاً تلطيفاً إنسانياً ؛ ثم أراه الخير والشر وقال له اجعل نفسك بنفسك انسانا وجنّى

قلت : ياعدوّ نفسك ، فما تقول فى حبك هذه الراقصة وأنت حيوان ملطف تلطيفاً انسانياً ؟

قال : ويحك ! وهل العقدةُ إلا هنا ؟ فهذه مبذولةٌ ممكنة ، ثم هى لى كالضرورة القاهرة ، فلا يكون حبها إلا إغراءً بنَيلها ، ولا تكون سهولةُ نيلها إلا إغراءً لذلك الاغراء ؛ فأنا منها فى امرأة وحب ، ولكنى فى امتحانٍ شديد عسِر أغالب ناموسا من نواميس الكون ، وأدافع قانوناً من قوانين الغريزة ، وأظهر قوتى على قوة الضرورة الميسرة بأسبابها ، وهى أشد الضرورات عنفاً وإلحاحاً وقهرا للنفس من قِبَل أنها ضرورة لازمة ، وأنها مهيّأة مسهلة . فلو أن هذه المرأة المحبوبة كانت ممتنعة بعيدةَ المنال لما كانت لى فضيلة فى هذا الحب العفيف ، ولكنها دانيةٌ ميسرة على الشغف والهوى ؛ فهذا هو الامتحان لأصنع أنا بنفسى فضيلةَ نفسى

* * *

ومن الفصل الذى مثّلوه وما نشعر منه بتمثيل فقد كان كالصورة العقلية المعترضة للعقل وهو يفكر فى غيرها ، وكانت (الحقيقة) فى شىء آخر غير هذا . ومتى لم يتعلق الشعورُ بالفن لم يكن فيه فن ؛ وهذا هو سر كل امرأة محبوبة ، فهى وحدها التى تثير شعورَ المحب فى نفسه فيشعر من حسنها بحقيقة الحسن المطلق ، ويجد فى معانيها جواب معانيه ، وتأتيه كأنها صُنعت له وحده ، وتجعل له فى الزمان زمناً قلبياً يحصر وجوده فى وجودها

وليس فن الحب شيئاً إلا استطاعةَ الحبيب أن يجعل شهواتِ المحب شاعرة به ممتلئةً منه متعلقة عليه ، كأن به وحده ظهور جسَدّية هذا الجسد وروحانية هذه الروح . وكل ما يتزين به المحبوب للمحب ، فانما هو وسائل من المبالغة لاظهار تلك المعانى التى فيه كيما تكبر فيدركها المحب بدقة ، وتثور فيحسّها العاشق بعنف ، وتستبد فيخضع لها المسكين بقوة

والشهوات كالطبيعة الواحدة فى أعصاب الانسان ، وهى تتبع فكره وخياله ؛ ولا تَفَاوُتَ بينها إلا بالقوة والضعف ، أو التنبه والخمود ، أو الحدة والسكون ؛ غير أنها فى الحب تجد لها فكراً وخيالاً من المحبوب ، فتكون كأنها قد غيرت طبيعتها بسر مجهول من أسرار الألوهية . ومن هنا يتأله الحبيب ، وهو هو لم يزد ولم ينقص ولم يتغير ولم يتبدل ، وتراه فى وهم محبه يفرض فروضاً ، ويشرع شريعة من حيث لا قيمة لفروضه وشريعته إلا فى الشهوة المؤمنة به وحدها

ومن ثم لا عصمة على الحب إلا إذا وجد بين إيمانين أقواهما الايمانُ بالحلال والحرام ، وبين خوفين أشدهما الخوف من الله ، وبين رغبتين أعظمهما الرغبةُ فى السموّ

فان لم يكن الفاسق ذا دين وفضيلة فلا عصمة على الحب إلا أن يكون أقوى الايمانين الحرص على مكانة المحبوب فى الناس ، وأشد الخوفين الخوف من القانون ... وأعظم الرغبتين الرغبة فى نتيجة مشروعة كالزواج

فان لم يكن شىء من هذا أو ذاك فقلما تجد الحب إلا وهو فى جراءة كفرين ، وحماقة جنونين ، وانحطاط سفالتين . وبهذا لا يكون فى الانسانين إلا دون ما هو فى بهيمتين

* * *

ثم جاء الفصل الثالث وظهرت هى على المسرح . ظهرت هذه المرة فى ثوب مركزة أوربية تخاصر عشيقا لها فيرقصان فى أدب أوربى متمدن ... متمدن بنصف وقاحة ؛ متأدب ... متأدب بنصف تسفّل ؛ مشروع ... مشروع بنصف كفر ؛ هو على النصف فى كل شىء حتى ليجعل العذراء نصف عذراء ؛ والزوجة نصف زوجة ...

وكان الذى يمثل دور العشيق فتاةٌ أخرى غلامية مجَمَّمَةَ الشعر(١) ممسوخةً بين المرأة والرجل . فلما رآها صاحبنا قال : هذا أفضل . . . .

(١) المجممات هن اللواتى يتخذن شعورهن جمة (بضم الجيم) أى يقصصنها كما يفعل نساء هذه الأيام تشبهاً بالرجال . وقد كان ذلك مما تصنعه نساء العرب ونهى الاسلام عنه كراهة لهذا التشبه . نفس الشعر (على المودة) هو التجميم

وهشّت الحسناءُ وتبسّمت وأخذت فى رقصها البديع فانفصل عنى الصديق وأهملنى وأقبل عليها بالنظرة بعد النظرة بعد نظرة، كأنه يكرر غير المفهوم ليفهمه، ورجع وإياها كأنه فى عالم من غير زمننا تقدّمه عن عالمنا ساعة أو تؤخره ساعة. وكانت جملةُ حاله كأنها تقول لى: إن الدنيا الآن امرأة! وكان من السرور كأنما نقله الحب الى رتبة آدم ونقل صاحبته الى رتبة حواء، ونقل المسرح الى رتبة الجنة

والعجيب أن القمر طلع فى هذه الساعة وأفاض نوراً جديداً على المسرح المكشوف فى الحديقة فكأنه فعل هذا ليُتمّ الحسن والحب. وأخذ شعاع القمر السماويّ يرقص حول هذا القمر الأرضى فكانت الصلة تامةً وثيقة بين نفس صاحبنا وبين الأرض والسماء والقمرين

ما هذا الوجه لهذه المرأة؟ إنه بين اللحظة واللحظة يعبّر تعبيراً جديداً بقَسماته وملامحه الفتانة. كل البياض الخاطف فى نجوم السماء يجول فى أدمغة المُشرق؛ وكل السواد الذى فى عيون المهَا يجتمع فى عينيه؛ وكل الحمرة التى فى الورد هى فى حمرة هاتين الشفتين

ما هذا الجسمُ المتزن المتموجُ المفرّغ كأنه يندفق هنا وهنا؟ إنه جسم كامل الأنوثة؛ إنه صارخ صارخ؛ إنه عالم جمالٍ فيه كما تقول الفلسفة حين تصف العالم: فيه «جهةُ فوق» و«جهة تحت». لو امتدت له يد عاشقه لجعل فى خمسِ أصابعها خمسَ حواس....

ما هذا؟ ما هذا؟ لقد خُتم الرقصُ بقبلة ألقاها الخليل على شفتى الخليلة، وكانت تركت خصرها فى يديه وانفلتتْ تميل بأعلاها راجعة برأسها الى خَلْف، نازلةً به رُوَيداً رويداً الى الأرض، هاربة بشفتيها من الفم المُطِل عليها. وكان هذا الفم ينزل رُويداً رويدا ليدرك الهارب...

وقبل أن تقع القبلة التفتت لفتةً الى.... ثم تلقّت القبلة أما هو؛ أما مجنوننا؛ أما صاحب القلب المسكين؟

(لمنطا) «لها بقية» مصطفى صادق الرافعى

الأدب والخلود

للأستاذ ابرهيم عبد القادر المازنى

عشت سنين عديدة — أكثر عمرى — بالخيال والهم. وكانت دنياى تحد من كل ناحية بجدران مكتبتى ومنظارى المكبر الذى أتدبر به الحياة وأستعين على درسها بقوته وقدرته على الجلاء والكشف والتوضيح، الكتب الكثيرة المرصوصة على رفوفها. وكانت رياضتى حين آكل وأتعب ويبلغ منى الجهد أن أدير عينى فى صفوف هذه الكتب التى كنت أنتقى أنفس الطبعات منها وأحسنها ورقا وأجودها جلداً وأحلاها منظراً. فلما صدمتنى الحياة — مرة وأخرى — ورأيت أزهار آمالى وورق آرائى التى كنت أحسبها خالدة النضرة دائمة البهجة ولا أظن بها إلا أنها ستظل رفافة أبداً — أقول لما رأيتها تصفر وتتساقط وتذوى وتجف وتتكسر وتنفرك فى يدى وتحت قدمى راعنى عظم جهلى، وهالنى الشعور بالوحدة والوحشة والغربة فى هذا العالم الزاخر الذى احتجت برغمى أن أخوض بحره وأرى بنفسى فى عبابه وأنا لا أدرى كيف أسبح فيه وأتقى الغرق

وأنصف الكتب فأقول إنها لم تغشنى ولم تخدعنى ولم تتعمد أن تزيف صور الحياة، ولكنى اقتصرت عليها واستغنيت بها، فصرت لا أرى الحياة إلا بعيون أصحابها، ولا أحسها بغير أعصابهم، حتى ليخيل إلى الآن — من حيث معرفتى يومئذ بالحياة وإحساسى بوقعها وفهمى لها وتجربتى لأحوالها — أنى كنت أشبه بكتاب مختارات من جملة ما قرأت وحصلت، ولست بانسان له وجود وشخصية وكيان مستقل. ومن متناقضات ذلك العهد أنى كنت من أعظم الكتاب تحمساً للدعوة إلى تحرير الأدب العربى من رق التقليد وإن كنت أنا لا أعدو أن أكون نسخة مختصرة لكل قديم من الآراء والمذاهب والاحساسات والخواطج. وليس هذا ذنب الكتب وإنما هو ذنبى. على أنى لو كنت وجدت من يرشدنى لرشدت ولا نتفعت بما ضاع من عمرى، ولكنى لم أجد هذا المرشد والناصح الأمين والقدوة الحسنة لا فى المدرسة ولا فى البيت ولا فى الاخوان، فقد كان شأنهم كشأنى، سوى أنهم

كانوا أحكم منى وأرشد بطبيعتهم وأهدى سبيلاً ، فلم يقعوا فيما وقعت فيه ولم يضيعوا مثل ما ضيعت من عمرى

وأحسست بخيبة الأمل والضيعة فى كل ناحية ، فاسودت الدنيا فى عينى وخامرنى اليأس ، وظهر ذلك فى كل ماعالجت من فنون الأدب وألوانه ، وهجرت العمار إلى الخراب ، وانتقلت من المدينة الحية التى تمج بالناس وتزخر بالحياة إلى الصحراء المنقطعة ورمالها الصفراء وجدبها الرائع وفضائها الرحيب وسمتها المقيمة ، لأنى رأيت أنها أولى بى ، وأن المقام فى خرابها العظيم أرفق بنفسى المتهدمة وآمالى التى درست وهماتى التى فترت

وتعاقبت السنون — أربعة عشر عاما كاملاً — وأنا أجد الأنس بالصحراء والروح فيها والراحة بها . نعم كنت أنحدر إلى المدينة كل يوم وأرى الناس وأعمل معهم وأكد وأسعى ، ولكنى كنت لا أشاطرهم شعورهم بالحياة وإن كنت لا أثقل عليهم بما أحس . وكنت أكون معهم ، ولكنى بقلبى وعقلى مع الصحراء ، فلا أكاد أعود إليها حتى أحس أن حجراً قد انحط عن صدرى وأنه صار فى وسعى أن أتنفس وأن أنضو ما أتكلفه مع الناس وأواجه حقيقة نفسى التى أضمرها وأخفيها عن العيون واسترها حتى لا أوذى الناس بها

ولكن الصحراء معدنها خصب وإن كانت ظاهرة الجدب حتى لتبدو كأن لا أمل فيها ، وإن قلبها لعامر وإن كانت فى رأى العين خواء قواء . وإن الاحتمالات التى تنطوى عليها لأكثر من أن يأخذها حصر ، وما ينقصها إلا أن تساعفها الأحوال . وهل مصر كلها إلا صحراء جرى فيها نهر واحد فانقلبت من جنات الدنيا ؟ فهذه الصحراء أيضاً جنة مضمرة وفردوس مكنون

وصار مجرى هذا الخاطر فى نفسى عميقاً على الأيام ، فقلت لنفسى فى خلواتى الكثيرة بها : إن هذه الصحراء فيها قوى مستورة مقيدة تنتظر الانطلاق ، وخصباً محجوباً لو وجد مايظهره لربا فيها النبات واهتز ورف وزكا . وأنا أيضاً مثلها . ولم لا ؟ أأكون أعقم وأجدب من التراب والحصى والرمال الصفراء ؟ . . . وقد انتشرت على سطح نفسى طبقة كثيفة من القنوط غطت ماانطوى عليه من الزكاء والطيب والريع الكثير الوفير ، وما أظن بها إلا أن فيها خمائل أمل مدفونة ورياض خير أحسبها على الرغم من كل شىء لا تزال مخضلة يترشش نداها . وإن النفس لأقدر — أو هى ينبغى أن تكون أقدر من التراب على تربيت الندى وحفظه وادخاره . وإذا كانت تربة بعض النفوس مبكاراً فليس بضائرى أن تكون تربة نفسى مئخاراً . ومامنعها التأخر بعد أن تبشر ويخرج نباتها أن يسرع ويطول ويقوى . وإذا كانت هذه الصحراء تنتظر أن يجيئها الغوث من الخارج فان النفس غياثها فيها . وللصحراء السحب التى تجرى الماء على وجهها ، وللنفس مدد كاف من حيويتها التى هى فى أعمق أعماقها . وأحسب أنى لو حفرت فى هذه الأرض لبلغت الماء ولو بعد عمق كبير . كذلك أحسب أنى لو مهت نفسى وحفرت فيها لوقعت فى بعض أعماقها على ماء غير قليل ؛ وسأحتاج أن أرمى التراب وأخرج الطين والحجارة وأن أنكشها من حين إلى حين حتى لا تعود حمأتها فتتجمع وتسدها مرة أخرى

واقتنعت بذلك وصح عزمى على أن من الواجب تنقية نفسى — أو بئرها — مما سد منابع الماء فى أعماقها المجهولة ، فأعددت العدة لذلك وجئت بالمتلات والمعاول والمجارف والحبال والقاطف والدلاء إلى آخر ذلك مما يحتاج اليه المرء فى الحفر . وقلت لنفسى : « إسمع ياهذا .. إنك لاتستطيع أن تحتفر إلا إذا وسعت ، فماتدرى أقريبة المنزع بئر نفسك هذه أم بعيدته ؛ والأرجح أن تكون بعيدة وأن تكون قد تكدست فوقها أكوام شتى وطبقات متراكبة من أوحال السخافات المختلفة المتعددة التى عشت بها هذا العمر كله . فيجب من الآن — وقبل الشروع فى الحفر — أن توسع صدرك وتوطن نفسك على الشك فى كل ما أخذت به من الآراء والمذاهب ، أى على اعتبار أن كل ما كان عندك بمنزلة العقائد التى لاتقبل الجدل يجب أن يعاد بحثه بغير هوى ، وإلا كان ما يوشك أن تحاوله الآن من الحفر عملاً لاخير فيه ولا جدوى منه ، وأولى بك حينئذ أن تنصرف عنه . وكما أن الذى يحتفر بئراً لا يستطيع ذلك إذا هو اجتزأ بثقب ضيق إشفاقا على الأرض أن يفسد منظرها بتوسيع الفوهة وأن يشوه استواءها ، كذلك أنت لا تستطيع أن تصل إلى شىء إذا كنت ستصر على آرائك القديمة ، فاضرب فيها كلها بمعولك وانظر كيف ثباتها ، وهل تحتمل ذلك أم تتناثر وتتبعثر ذراتها وتنقلب ترابا يطير كالهباء ،

وهـذا أول ما ينبغي أن تروض وتوطن نفسك عليه وإلا فتعبك ضائع مع الرياح الأربع

ولم أجد لى معدى عن الرضى بمراجعة النفس وإعادة النظر بغير هوى فى كل ما كنت أعده من الحقائق المفروغ منهـا . فقلت لنفسى : « يجب أن أبدأ من البداية . والبداية هى أنى خلقت لأعيش وأعطيت الحياة لأحيا . وهذا من البدائه ، إذ لا يعقل أن أكون أعطيت الحياة لأرميها للكلاب ، وإلا فلماذا أعطيتها إذن ؟ وما دام الأمر كذلك فأن واجبى الأول هو أن أعيش وأحيا ، وأن أحرص على الحياة وأضن بالعيش أن يفسده شىء بقدر ما يدخل هذا فى الوسع . ثم إنى لم أعط حياة الأبد ، وإنما أعطيت حياة محدودة لها آخر كما لها أول ، وهذا يضاعف وجوب الحرص عليها والضن بها على المفسدات ، لأنها فضلاً عن القصر يسهل زوالها ويضيع معناها بسوء الرأى . وعلى إذن أن أنقى من جوها كل ما ينغص هذه الحياة أو يقصر عمرها أو يفسد فترتها . وأول ما ينغص هذه الحياة ويضيع معناها ويفسد الغاية منها ويعكس الآية فيها ويقلبها عذابا وجحيما ، هذا الأدب الذى جننت به وضيعت خير شطر من عمرى فيه . وما هو الأدب على كل حال ..؟ هو شىء — أعنى كلاما — يحاول صاحبه به أن يوهم الناس أنه خير منهم وأرق وأذكى وأفطن وأحس وأعلم ، وأن خطوهم وراءه باجيال إذ يخطو هو على مهل . ثم يرتقى المرء من إيهام الناس إلى إدخال الوهم على نفسه هو فيزعمها خالدة باقية على الزمن بآثاره — أى بالكلام الذى يصوغه — على حين تفنى كل هذه الملايين من معاصريه وممن جاءوا قبله ومن سيجيئون بعده . فلماذا بالله يخلد كلامه وحده دون كلام هـذه المئات العديدة من الملايين فى كل أمة وكل زمن ؟ . . . ثم كيف يتاح هذا الخلود فى حياة قائمة على الفناء المحقق ؟ . . وليس الخلود ألف سنة ولا ألفين ولا ثلاثة ولا أربعـة أو أكثر . . وانظر من ذا الذى خلد إلى الآن ... وفكر فى أمل الذين نذكرهم إلى اليوم فى دوام الذكر على الزمن . . . وإذا كنت الآن أعجب لشىء فانى أتعجب لذاك الذى يستطيع أن يفهم الخلود ويقنع بما فهم من معناه نفسه . وأعترف بأنى كنت أومن بالخلود فى هذه الدنيا الفانية ، ولـكنى أعترف أيضاً أنها كانت عندى كلمة حلوة أرتاح إليها وأحس لها ندى على النفس وبرداً على القلب من غير أن أدرك لها معنى محدوداً جلياً . وإذا كان هناك من يؤمن بهذا الخلود فيخيل إلى أنه إما أن يكون شاباً لم يعان الحياة ولم يواجه حقائقها ، أو هو رجل لا يزال قادراً على مغالطة نفسه أو على الايحاء اليها ، أو فيه لوثة تمنع أن يجىء تفكيره مستقيماً ؛ وقد يكون هناك غير هؤلاء فما أدعى الأحاطة ولا ما هو قريب منها . وبدا لى وأنا أفكر فى هذا أن من السخف أن يتصور المرء أنه سيخلد بآثاره لا لسبب إلا أنه نشر كتاباً وأن الصحف أثنت عليه ومدحته . كأن الأجيال المقبلة ستعقم صحفاً وكتاباً هم أقرب إلى نفسها ومزاجها وأساليب تفكيرها وإلى إحساساتها واتجاهاتها ونزعاتها من كتاب الجيل الذى مضى أو الأجيال التى اندثرت . وغريب أن يعتقد إنسان أن آراءه وأساليب تفكيره وكتابته الخ تظل هى الحبيبة الأثيرة إلى كل عصر على الأزمان كلها !

كانت فكرة الخلود أول ما أخرجته وألقيته من الأوحال التى تراكمت على نفسى وحرمتنى نعمة الشعور بالحياة — كما ينبغى أن يكون الشعور بها — والارتياح اليها . فقد كنت أستسخف الناس وأستحمقهم وأستقل عقولهم وأحتقر عواطفهم وأراهم دونى فى كل شىء ، ولا أكاد أطيق منهم معارضة أو مخالفـة يسيرة أو ملاحظة بريئة يحسن فيها القصـد ولا تسوء النية ؛ وكنت أترفع عنهم وأحس أنى متواضع جداً حين أجالس أحدهم ؛ وكان يزيد شعورى بالتواضع ويضاعفه أن أرانى أكلمهم كما يتكلمون وأجاريهم فى أحاديثهم الفارغة وثرثرتهم الجوفاء فأرضى عن نفسى كل الرضى وأقول لها فى تسويغ هذا التواضع : « وماذا عسى أن يصنع المبصر بين العميان ؟ » وما أكثر الأعمال التى تركتها وفقدت رزقى منها لأنى لم أطق من صاحبها الذى كنت أعمل معه أن يكلم رجلاً خالداً مثلى كأنه من أندادى — وأن أسمع كلاماً يشمرنى أنه لا يفطن إلى قيمة من هو معه ولا يدرك أنه خالد وأنه حقيق بالتقديس وجدير بأن يركع أمامه على ركبتيه . ولقد خاصمت مرة رجلاً لأنه لم يأخذ برأيى ولم يصدر عن مشورتى ، فعددت منه هـذا تطاولاً على مقامى ؛ وغضبت على آخر لأنه نظر إلى نظرة تبينت فيها الحسد كأن ما وهبنيه الله يمكن أن يطمع فى مثـله طامع . والويل لمن كان يحدثنى ولا

يحرص على أن تكون عينه فى عينى . . إذن هو يتعمد أن يفهمنى أنه يستخف بى وأنا الذى يعبى الزمان مكان نده

وبعد أن أخرجت الخلود وأفرغت القفة من طينه أحسست أنى حططت عن صدرى جبلاً فقلت : « يا سلام . . . أما إنها لراحة كنت محروماً منها ... والله لقد كنت مغفلاً .. وما الذى أغرانى بوضع هذا الجبل كله على صدرى ... وكيف بالله كنت أرجو أن أتنفس ... أعوذ بالله .. والحمد لله . . »

وبعد أن أخذت حظى من الراحة قلت لنفسى : « إذن ما الرأى فى هذا الأدب الذى نكبنى بفكرة الخلود وزين لى هذه المصيبة التى رزأت بها نفسى ؟ » وفكرت ثم قلت » ما دمنا قد خلصنا من مصيبة الخلود ، فالأدب أولاً يكون وسيلة للتنفيس عن النفس والتخفيف عنها وإراحتها من ثقل العواطف والخوالج ، وهذا هو الذى يسميه غيرى فناً ذاتياً — وقد كنت مثلهم أفعل ذلك — وأسميه أنا سلوى شخصية ، والمسألة ميل واستعداد . . فهذا يجد ما يسليه ويرفه عنه فى الألعاب الرياضية ، وذاك يلتمس الترفيه فى القمار ، وثالث يجد التسرية فى الرقص ، ورابع يفوز بها من الأدب — أى من رص الكلام الفارغ . وليس الكلام الفارغ هو الذى يسرى عن النفس ، وإنما هو المجهود الذى يبذله المرء فى رصف هذا الكلام . ومجهود رصف الكلام هو مجهود بدنى ككل مجهود آخر ، والمرء يحس بالأعياء والتعب بعده كما يحس بعد لعب الكرة أو غيرها . ولعل الأعياء فيه أشد لقلة الحركة الجسمية ، وكثرة ما ينهك من الأعصاب

ثم ينقلب الأدب صناعة مع طول المزاولة والتدريب ، كما يمكن أن ينقلب أى فن آخر ؛ ويصبح كما هو الحال والواقع عندى . ومن الناس فى الأدب الهاوى أى الأديب الذى لم يتحول على الأيام وبالمزاولة صانعاً ، فهذا لا يزال يتخذه سلوى وملهاة يزجى بها الفراغ ويريح بها النفس ويرفه عن الأعصاب وإن كان يتعبها من ناحية أخرى كما يتعب المرء نفسه بالتنس والسباحة وغير ذلك : أما من صار مثلى فالأدب عنده صناعة وإن شق عليه أن يعترف بذلك ورأى فى الاعتراف به غضاضة أو توهمها على الأصح لطول ما راض نفسه على النظر إلى الأدب كأنه فن سماوى يُغرى به الذى تميزه الطبيعة وتكتب له عندها الخلود كأن الطبيعة تحابى الناس على نحو ما يحابى الخلق بعضهم بعضاً

وخرجت من هذا التفكير بأنى فى الواقع فتحت دكان أدب إذا أحسنت الاعلان عنها ولفت النظر إليها وأجدت عرض ما فيها من البضاعة فأنى خليق أن أفوز بالإقبال عليها والطلب لما فيها فيكثر كسبى ويعظم ربحى كما هو الحال فى كل تجارة أخرى . ولا فرق بين غيرى من الأدباء وبينى إلا على قدر اعتمادهم فى رزقهم على الأدب ؛ فمن كان معوله مثلى عليه فالأدب عنده صناعة لا شك فى ذلك ، وإلا فهو رجل يسر الله له رزقه ففى وسعه أن يتسلى بالأدب كما يمكن أن يتسلى باقتناء الديكة أو الثعابين أو السجاجيد أو بالكرة أو التنس أو السياحة أو التوغل فى مجاهل الأرض لصيد الأسود والفهود والفيلة إلى آخر ما يمكن أن يلهو به انسان إذا رزق الوسيلة

ولما انتهيت من هذا كله سهل على أن أتلقى الحياة كما يتفق أن تجىء وأن أتقبلها بلا تذمر أو تسخط . وهان على ما كان يبدو لى عسيراً فيما مضى قبل أن يرتد إلى عقلى الذى ذهب به جنون الأدب ، فان لكل فن ضرباً من الجنون ، وليس الأديب الذى يتوهم أنه خالد ويطلب أن يعامله الناس على هذا الاعتبار بأقل جنوناً من بائع الفول المدمس الذى يأبى أن يبيعك منه شيئاً ولو بذلت له مال قارون إلا إذا تقدمت إليه فى تواضع ظاهر وقلت له إنى أريد « لوزاً » بقرش . ولا فرق عندى — الآن — بين اعتداد الأديب بأدبه إلى ذلك الحد المبالغ فيه وبين تجبر بائع الفول وتحتيمه عليك أن تسمى فوله لوزاً لظنه أن تسميته لوزاً أبلغ فى التبجيل وأدل على التوقير . وما يطلب بائع الفول فى الحقيقة أن توقر الفول وإنما يطلب أن توقره هو ، ولكنه يشعر أن طلب التوقير لشخصه مباشرة قد لا يلقى الارتياح ، فهو يجعل من الفول أداة لما يشتهى ويروم ولا يفطن إلى أن الناس يجارونه ويضحكون منه ويتفكهون فيما بينهم بالتنكيت عليه لأنه لا يرى الضحك ولا يسمع النكت ، وإنما يرى مظاهر الاحترام المتكلف ويسمع فوله يدعى لوزاً . وليست النعامة وحدها هى التى تستطيع أن تغالط نفسها وتتجاهل ما تغمض عينها عنه فأننا جميعاً مثلها وان كنا لغرورنا نضرب بها المثل فى الحماقة . وكذلك الأديب الذى يطلب منك الاحترام والتوقير لخلوده إنما يطلب

هذا لشخصه لا لأدبه ؛ ولو أمكن أن يهتدى إلى وسيلة أخرى تنيله ما يشتهى وما تتعلق به نفسه من الاجلال والاكبار غير الأدب لما قصر فى اتخاذها ، ولكان الأرجح — إذا وجدها أجدى عليه — أن يتساهل فيما يجب للأدب من الاكبار ، بل لرأيته يدعى أنه إنما يكتب أو ينظم أحياناً للتسلية لا لمنافسة الأدباء المحترفين . وكل انسان يشتهى المجد أو التمجيد من الطريق الذى يراه أوفق له ويرى نفسه أقدر على انتهاجه ولا فرق من هذه الناحية بين الأدب وبين رفع الأثقال والحرب والموسيقى والسياسة وغير ذلك ، فانها جميعاً وسائل يستعين بها الانسان على ما يريد من الفوز بالتمجيد الذى تصبو إليه نفسه .

وقد وجدت وأنا أنقب وأحتفر حجارة كثيرة تفتتت من صخرة الخلود الضخمة زحزحتها وأخرجتها ورميتها مثل النبوغ والعبقرية وما أشبه ذلك فألقيتها جميعاً ، فشعرت بالراحة وأحسست أن ما كان يسد متنفسات روحى قد زال والحمد لله على التوفيق ؛ ورأيتنى قد رجعت إنساناً بعد أن كنت دفتراً أو كتاباً كالكتب التى عندى ، وكل ما كان ينقصنى هو أن أجد من يغلفنى أو يجلدنى ليتسنى أن أوضع على رف كبقية الكتب وعلى ظهرى كما على ظهورها « كشكول المازنى » . والواقع أنى لم أكن إلا كشكولاً فيه خليط مضطرب غير متسق من الآراء المستمدة أو المولدة من هنا وههنا فصرت بعد التنقية الدقيقة التى أجريتها فى نفسى إنساناً يشعر بالحياة التى وهبها ويلتذها وينعم بها ويحرص عليها كما ينبغى أن يفعل ويوفر لها الأسباب التى تعين على زيادة الامتاع المستفاد منها .

وكنت كالذى وقف وفى يده ما يشبه المنظار فاذا رفعه إلى عينيه لم ير إلا الصورة المطبوعة أو المنقوشة على زجاجة وهو يحسب أنه يكبر له الأشياء ويجسم له المناظر . أما بعد التنقية فقد رميت هذا الذى كنت أحسبه منظاراً مكبراً ونظرت بعينى لا بعيون الغير فبدت لى الدنيا بما فيها من جمال وقبح ومن خير وشر ومن عرف ونكر ، وأنا الآن أخوض العباب وأغالب التيار وأصارع الموج ، وأطفو تارة وأرسب أخرى ، ولا أعدم ما أتعلق به فأنجو وأستريح وأستجم إذا أدركنى التعب لا كما كنت — واقفاً على الساحل أصف ما لم أجرب وأتحدث عما لم أختبر تقليداً لأحساس غيرى ومجاراة لنظرائه وأنا لا أدرى أنى لست سوى مقلد وإن كنت أزعمنى مبتكراً .

وخطرت لى حكاية ، فقد زعموا أن صانعاً بارعاً منقطع النظير خاف المعجبون بحذقه وأستاذيته أن يدركه الأجل فيموت معه فنه ويلف عليه وعلى براعته كفن واحد ، فتقدموا اليه يرجون منه أن يتخذ له تلاميذ يعلمهم فأبى ، فألحوا فلم يلن ، فشكوه إلى الحاكم فأمره أن يفعل فلم يطع فسجنه ، ولبث فى السجن أياماً ، فتشاور محبوه وإخوانه فى الأمر فقال أحدهم : «أنا أحل لكم هذا المشكل » ودعا اليه واحداً من أتباعه وقال له إنا سنسجنك مع هذا الصانع فى حجرة واحدة فكن معه الرفيق المخالف ، فاذا ضحك فاعبس أنت ، وإذا رأيته يعبس فاضحك أنت وقهقه ، وهكذا فى كل شيء . « ففعل الرجل كما أمره فكاد الصانع يجن وطلب أن يأخذوه إلى الحاكم ، فلما صار عنده قال له إنه مستعد أن يعلم ألف تلميذ ولا يبقى ساعة واحدة مع هذا الرفيق المخالف فى غرفة واحدة

بمثل هذا يجب — فى رأيى — أن يعالج الذين يصرون على الحكم لنفسهم بالخلود قبل أن تحكم لهم الأيام فما أعرف طريقة أجدى وأكفل بشفائهم من طريقة الرفيق المخالف

ابراهيم عبد القادر المازنى

فرصة أدبية لمدة شهر فقط

كتب بقلم محمد عبد الله عنان

مصر الاسلامية

ثمنه ١٥ قرشاً ويباع بخصم ٣٣٪ أى بـ ١٠ قروش

قصص اجتماعية

ثمنه ١٠ قروش ويباع بخصم ٤٠٪ أى بـ ٦ قروش

ابن خلدون حياته وتراثه

ثمنه ٨ قروش (مجلداً بالكرتون)

وثمن الثلاثة كتب معاً ٢٠ قرشاً أى بخصم ٤٠ ٪

عدا البريد، وهو قرشان عن كل كتاب داخل القطر وأربعة خارج القطر وللثلاثة كتب ٥ قروش فى الداخل وعشرة فى الخارج
ويطلب من مجلة (الرسالة) ولجنة التأليف والترجمة بشارع الكرداسى ومكتبة النهضة بشارع المدابغ وباقى المكاتب الشهيرة
وطلبات الجملة من المؤلف تليفون ٤٤٦٨٣

نظرية النبوة عند الفارابى

للدكتور ابراهيم بيومى مدكور
مدرس الفلسفة بكلية الآداب

— ٣ —

أسلفنا القول عن إحدى الشخصيتين اللتين أثارتا مشكلة النبوة أثناء القرن الثالث والرابع للهجرة فى شكل حاد ، ونعنى بها ابن الراوندى . واليوم نريد أن نتحدث عن الشخصية الأخرى التى ليست أقل من الأولى خطراً فى هذا المضمار والتى ربما كانت أعرف لدى جمهور القراء ؛ وهى شخصية أبى بكر محمد بن زكريا الرازى الذى ولد سنة ٢٥٠ هجرية بالرى حيث تعلم الرياضيات والفلك والأدب والكيمياء . ويظهر أنه لم يتقدم للدراسات الطبية إلا بعد أن بلغ سناً خاصة ، ولكنه لم يلبث أن برّز فيها على جميع معاصريه وأحرز شهرة كبيرة . فصار يتنقل من بلاط إلى بلاط ، ومن مدينة إلى مدينة ، يشرف على مستشفاها ويأخذ بيد العلاج والطب فيها . وكان فى كل هذا يحنُّ إلى الرى ويعود إليها من حين لآخر إلى أن توفى بها فى العقد الثانى من القرن الرابع[١] . وليس هناك شك فى أن الرازى هو أكبر طبيب فى الاسلام ، بل وفى القرون الوسطى على الاطلاق . فقد أحاط بكل النظريات الطبية القديمة وأدخل عليها عناصر جديدة هدته اليها تجاربه الكثيرة ، ومنح الكيمياء كذلك قسطاً كبيراً من عنايته ، ودرسها دراسة واقعية تجريبية قضت على كثير من الخرافات والأباطيل التى لصقت بها فى ذلك العهد . ولم يكن الرازى طبيباً وكيميائياً فحسب ، بل اتجه نحو الفلسفة وكتب فيها عدة أبحاث . ولقد كان حريصاً كل الحرص على أن يلقب بالفيلسوف ؛ ولذلك لما أحس أن بعض معاصريه ينكرون عليه هذا اللقب سارع إلى الرد عليهم ، وبين فى رسالة خاصة مميزات الفيلسوف العلمية والعملية محاولاً أن يطبقها على نفسه[٢] . وهو فى طبه وفلسفته واثق من نفسه كل الوثوق وإلى درجة لا نكاد نجدها لدى أى شخص من مفكرى الاسلام . فهو ينتقد جالينوس فى بعض آرائه ، ولا يتردد فى أن يرفض فريقاً من النظريات الأرسطية ، ويضع نفسه فى مصف أبقراط وسقراط من الأطباء والفلاسفة السابقين[١] . وفوق هذا فهو لا يسلم بتلك الجملة المشهورة : « ما ترك الأول للآخر شيئاً » ويعتقد على العكس منها أن السابقين تركوا للاحقين أشياء كثيرة . وقد استدرك هو نفسه على القدامى جزءاً من نقصهم وأصلح بعض أخطائهم . ولا نظنه ينكر علينا إذا حاولنا اليوم أن نثبت ما فى آرائه من ضعف أو خطأ ، وما أشبهه فى هذا ببيكون بين الطبيعيين والفلاسفة المحدثين . وليس بغريب أن يقف هذا الموقف أشخاص ينادون بالتجربة ويؤمنون بنظرية التقدم العلمى المستمر . فالرازى إذن مجدد وذو آراء مستقلة يجدر بنا أن نعرفها بصرف النظر عن خطئها أو صوابها ، شذوذها أو اعتدالها

لم تستبق لنا الأيام ، ويا للأسف ، كثيراً من مؤلفات الرازى الطبية والكيميائية والفلسفية ، إلا أنا ربما كنا أعرف بطبه وكيميائه منا بفلسفته . والسبب فى ذلك أن الباحثين من المحدثين عنوا بالرازى الطبيب والكيميائى أكثر من عنايتهم بالرازى الفيلسوف . ونحن لا ننكر أن جانبه العلمى أوضح وأقوى من جانبه الفلسفى ، وأن ما وصل إلينا من كتبه الطبية والكيميائية يزيد نسبياً على مخلفاته الفلسفية . بيد أن فى فلسفته جرأة وغرابة تدفع الباحث إلى دراستها وتفهمها . وإذا كان شذوذها وخروجها على المألوف هما من دواعى الاعراض عنها والتنفير منها فأنهما فى الوقت نفسه من وسائل الترغيب فيها والتشويق إليها . ونعتقد أنا نستطيع الآن أن نكوّن عنها فكرة كاملة على ضوء ما نقله أبو حاتم الرازى والبيرونى والكرمانى ونصيرى خسرو ، وبعض الرسائل القليلة التى وصلت إلينا والتى كتبها الرازى نفسه

لئن كان الرازى قد اشتغل بالفلسفة فانه يفترق عن فلاسفة الاسلام المعروفين فى نواح كثيرة . فهو يهاجم أولاً أستاذهم وزعيمهم أرسطو ويخرج على كثير من نظرياته الطبيعية والميتافيزيقية[٢] .

(١) لا يعرف بالدقة تاريخ وفاته ، فمن قائل إنه سنة ٣١١ وآخر سنة ٣٢٠ ؛ وعلى أرجح الروايات ما ذهب إليه البيرونى من أنه فى الخامس من شعبان سنة ٣١٣

(٢) الرازى ، السيرة الفلسفية ، نشره المسيو كراوس فى Orientalio 1935, p p. 318—320.

(١) البيرونى ، رسالة فى فهرست كتب محمد بن زكرياء ، ص ١٣ . أبو حاتم الرازى ؛ أعلام النبوة (in orientalio, 1936) ص ٤٢

(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٣٦ من المخطوطة

ويبالغ ثانياً على العكس منهم فى التعلق بأهداب الآراء المزدكية والمانوية والمعتقدات الهندية[١] . وينكر أخيراً كل الأنكار محاولتهم التوفيق بين الفلسفة والدين . ويرى أن الفلسفة هى السبيل الوحيد لاصلاح الفرد والمجتمع ، وأن الأديان مدعاة التنافس والتطاحن والحروب المتتالية . وقد كتب كتابين عدهما البيرونى بين الكفريات ، وهما : مخاريق الأنبياء أو حيل المتنبئين ، و نقض الأديان أو فى النبوات[٢] . وقد صادف الكتاب الأول نجاحاً لدى بعض الطوائف التى انتشرت فيها الزندقة والألحاد وخاصة لدى القرامطة[٣] . ويذهب الأستاذ ماسنيون إلى أن أثره تعدى إلى الغرب وكان منبع تلك الاعتراضات التى وجهها عقليو أوربا إلى الدين والنبوة فى عهد فردريك الثانى[٤] . وحتى اليوم لم يوقف له على أثر بين المطبوعات والمخطوطات العربية . وأما الكتاب الثانى فقد وصلنا منه فقرات عن طريق غير مباشر فى كتاب أعلام النبوة لأبى حاتم الرازى المتوفى سنة ٣٣٠ هجرية .

وأبو حاتم هذا من أكبر دعاة الاسماعيلية الذين أبلوا بلاء حسناً فى طبرستان وأذربيجان فى أوائل القرن الرابع للهجرة . وقد كان معاصراً ومواطناً للرازى الطبيب ، ودارت بينهما مناقشات حادة ومتعددة حضرها بعض العلماء والرؤساء السياسيين .

وقد شاء أبو حاتم أن يدوّن هذه المناقشات فى كتابه أعلام النبوة . حقاً إنه لا يصرح فى هذا الكتاب باسم الرازى ويكتفى بأن يوجه نقده إلى من سماه الملحد ؛ غير أن هناك أدلة قاطعة على أن هذا الملحد ليس شخصاً آخر سوى الرازى . فان حميد الدين الكرمانى المتوفى سنة ٤١٢ هـ وزعيم الدعاة الاسماعيليين فى عصر الحاكم بأمر الله يصرح فى كتابه الأقوال الذهبية بأن مناقشات فى النبوة والمناسك الشرعية دارت بين الرازى والشيخ أبى حاتم بجزيرة الرى أيام مَرْدَاوِج وفى حضرته[٥] . والكرمانى حجة فى هذا الباب فانه أعرف ما يكون بأخبار الاسماعيليين زملائه وبمواقف الرازى وآرائه التى أخذ على

(١) البيرونى ، رسالة ، ص ٣ — ٤

(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٠

(٣) البغدادى ، الفرق بين الفرق ، ص ٢٤١

(٤) Massignon, R. H. R., 1920. — cf. Encyc. de l,Islam Râz.

(٥) الكرمانى ، الأقوال الذهبية ، ص ٤ من مخطوطة فى مجموعة الحمدانى

عاتقه أن ينقض بعضها فى كتابه الآنف الذكر . ومما يؤسف له أن مخطوطة أعلام النبوة الوحيدة ، التى وصلت إلينا ، بدون مقدمة ؛ ويغلب على الظن أن هذه المقدمة المفقودة كانت تشتمل على غرض الكتاب والدافع إلى تأليفه[١] . فكتاب أعلام النبوة يقفنا على الاعتراضات الرئيسية التى وجهها الرازى إلى النبوة وأثرها الاجتماعى ؛ وعليه نعتمد هنا أولاً وبالذات

وهذه الاعتراضات فى جملتها تقترب بعض الشىء من الاعتراضات التى أثارها ابن الراوندى من قبل . وكأن الرجلين يرددان نغمة واحدة ويصدران عن أصل معين ، أو كأن تعاليم هندية وآراء مانوية اختفت وراء حملتهما . ونحن نعلم من جهة أخرى أن الرازى يقول بالتناسخ الذى عرفت به السُّمنية من الهنود ، ويتشيع للمانوية الذين كانوا يدسون فى غير ملل للاسلام ومبادئه ؛ ولا يبعد أن يكون قد وقف على نقد الاغريق للديانات على اختلافها . وسواء أكان الرازى متأثراً بعوامل أجنبية أم معبراً عن آرائه الشخصية فأنه يصرح بأن الأنبياء لا حق لهم فى أن يَدّعوا لأنفسهم ميزة خاصة ، عقلية كانت أو روحية ، فان الناس كلهم سواسية ، وعدل الله وحكمته تقضى بألا يمتاز واحد على الآخر . أما المعجزات النبوية فهى ضرب من الأقاصيص الدينية أو اللباقة والمهارة التى يراد بها التغرير والتضليل . والتعاليم الدينية متناقضة يهدم بعضها بعضا ولا تتفق مع المبدأ القائل إن هناك حقيقة ثابتة ؛ ذلك لأن كل نبى يلغى رسالة سابقه وينادى بأن ماجاء به هوالحق ولا حق سواه ؛ والناس فى حيرة فى أمر الأمام والمأموم والتابع والمتبوع . والأديان فى جملتها هى أصل الحروب التى وقعت فيها الانسانية من قديم ، وعدو الفلسفة والعلم . وربما كانت مؤلفات القدامى أمثال أبقراط وأقليدس وأفلاطون وأرسطو أنفع من الكتب المقدسة[٢] . يقول الرازى : «الأولى بحكمة الحكيم ورحمة الرحيم أن يلهم عباده أجمعين معرفة منافعهم ومضارهم فى عاجلهم وآجلهم ولا يُفضّل بعضهم على بعض ، فلا يكون بينهم تنازع ولا اختلاف فيهلكوا. وذلك أحوط لهم من أن يجعل بعضهم أئمة

(١) هذه المخطوطة من مجموعة الحمدانى أيضاً ، وقد بدأ المسيو كراوس الذى وقفنا عليها منذ زمن بنشر أجزاء منها فى Orientalio ، ونرجو أن يتابع نشره كى تنجلى هذه النواحى الغامضة

(٢) P.ikraus et Pines, Encyc. de l'Islam, Fasc. 54, .1136.

لبعض فتصدّق كل فرقة أمامها وتكذب غيره ، ويضرب بعضهم بالسيف ويعمّ البلاء ويهلكوا بالتعادى والتجاذبات ، وقد هلك بذلك كثير من الناس كما نرى [١] »

نظننا فى غنى عن أن نشير الى أن أقوال الرازى هذه تمثل أعنف حملة وجهت الى الدين والنبوة طوال القرون الوسطى . بيد أن الشيخ أبا حاتم استطاع أن يقابل هذه الحملة وجهاً لوجه ويخذلها ، وأن يهدم هذه الفتنة من أساسها . وفى كتابه أعلام النبوة صفحات تفيض الحاماً وإعجازاً ، ومناقشات تسد على المكابرين والمعاندين سبل التخلص والفرار . وحبذا لو نشر هذا الكتاب فى جملته فضم آية الى آيات الاسماعيلية الكثيرة وأثراً الى آثارهم العلمية النفيسة . وأبو حاتم ممن أحسنوا الجدل والمناقشة والأخذ والرد . وكيف لا وهو داع مهمته أن ينتصر لدعوته ، ويردّ عنها شبه الخصوم والمعارضين ؟ فهو لا يرد على الرازى بقضايا مسلمة وأدلة مشهورة ، وإنما يحمله على أن يرفض نفسه بنفسه ، ويبين له أن أقواله وآراءه متهافتة ومتناقضة [٢] وهو فوق هذا لا يتكلم باسم الاسماعيلية وحدهم ، بل باسم الاسلام والعقل والانسانية جمعاء . ذلك لأن مشكلة النبوة لا تتصل بفرقة دون فرقة ، ولا تعنى طائفة منفردة من طوائف الاسلام . وقارىء كتاب أعلام النبوة لا يشعر مطلقا أنه يحمل شارة خاصة على عكس كتب الفرق المختلفة . وهنا نقطة نحب أن نلفت النظر اليها ، وهى أن حملة الرازى وابن الراوندى من قبله على الأديان والنبوات أثارت الأوساط الاسلامية على اختلافها ، وحفزتها الى الدفاع عن معتقداتها . فأبو على الجبائى [٣] الكبير (المتوفى سنة ٣٠٣ هـ) وابنه أبو هاشم [٤] (المتوفى سنة ٣٢٤ هـ .) المعتزليان ، وأبو الحسن الأشعرى [٥] (المتوفى سنة ٣٢٤ هـ .) زعيم أهل السنة رأوا من واجبهم أن يردوا على ابن الراوندى ؛ ومحمد بن الهيثم [٦] الفلكى والرياضى (المتوفى سنة ٤٣٠ هـ) أخذ على عاتقه أن ينقض رأى الرازى فى الآلهيات والنبوات .

إلا أن الاسماعيلية بوجه خاص قد بذلوا فى هذا المضمار همة عالية ومجهوداً صادقا ؛ ومعظم الردود على منكرى النبوة إنما وصلتنا عن طريقهم . وليس هذا بغريب ، فأن الاسماعيلية فى تعاليمها الدينية ومبادئها السياسية تقوم على النبوة وتعتمد عليها

فى هذا الجو المملوء بالحوار والمناقشة فى موضوع النبوة الخطير نشأ الفارابى ، وكان لا بد له أن يقاسم فى هذه المعركة بنصيب . لاسيما وهو معاصر لابن الراوندى والرازى معاً ؛ فقد ولد سنة ٢٥٩ هجرية وتوفى سنة ٣٣٩ . ويروى المؤرخون أنه كتب ردين ، أحدهما على ابن الراوندى والآخر على الرازى ؛ ونأسف جد الأسف لأن هذين الردين لم يصلا الينا [١] . وقد نستطيع أن نتكهن بموضوعهما على ضوء الملاحظات السابقة . فانه لا يتوقع أن يرد الفارابى المنطقى الفيلسوف على ابن الراوندى إلا فى شىء يتصل بالمنطق والجدل اللذين أخل الأخير بقواعدهما ، أوفى مبدأ من مبادىء الفلسفة والآلهيات التى خرج عليها [٢]

ولا بد أن يكون الفارابى ، وهو الأرسطى المخلص والمعنى بالسياسة والاجتماع ، قد أخذ على الرازى كذلك أشياء كثيرة ، فى مقدمتها التهجم على أرسطو وإنكار مهمة الرسول السياسية والاجتماعية . على أن الفارابى لم يكتف بهذا الموقف السلبى وهذا الدفاع الذى إن ردّ عن النبوة بعض خصومها الحاضرين فهو لا يمنحها أسلحة تستعين بها على هجمات المستقبل . وعلى هذا أجهد نفسه فى أن يقيم النبوة على دعائم عقلية ويفسرها تفسيراً علمياً ، وبذا استطاع أن يبطل كلمة أنصار العقل الموهومين ، ويدحض دعوى المتفلسفين الذين يزعمون أن الدين لا يمكنه التآخى مع الفلسفة ، ولا القرب منها . ومن غريب المصادفات أن هذه الدعائم الجديدة ترجع إلى أصل أرسطى ؛ فكأن الفارابى قد تمكن فى نظرية النبوة أن يصوب إلى هدفين ويحظى بغايتين ، فأسس الأديان تأسيساً عقلياً فلسفياً وأبان للناس أن أرسطو الذى تهجم عليه الرازى وأنكره آخرون جدير بحظ كبير من الاجلال والتقدير

(يتبع) ابراهيم بيومى مدكور

(١) أبو حاتم ، أعلام النبوة (in Orientalio) ص ٣٨

(٢) المصدر نفسه ، ص ٤٢

(٣) ابن الجوزى ، فرق الشيعة ، ص XX

(٤) M. Horten, Die philos. Sys., p : 364.

(٥) Spitta, Zur Gesch. Abu,l Hasan al - as'ari, p. 63.

(٦) Kraus, Riviata, 1934, p. 363.

(١) ابن أبى أصيبعة ، عيون ، ١١ ، ١٣٩ . — القفطى ، تاريخ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠

(٢) ينبغى أن نلاحظ أن ابن أصيبعة يصرح بأن الفارابى كتب كتاباً فى الرد على ابن الراوندى فى آداب الجدل ، والقفطى يعد هذا كتابين : أحدهما فى آداب الجدل والآخر فى الرد على ابن الراوندى

الحرب الأهلية الاسبانية

صراع بين الطغيان والحرية

خطر الفاشستية على السلم الأوربي

بقلم باحث دبلوماسي كبير

انتهت المأساة الاسبانية إلى موقف شديد الحرج ، فمنذ أسابيع تطوق القوات الثائرة مدريد ، وتشدد عليها الحصار والضغط ، وتصلى المدافعين عنها والمسالمين من أهلها ناراً تحصد الأرواح بلا رأفة ؛ ومنذ أسابيع تضطرب الجمهورية الاسبانية في يد القدر ، وتبذل جهود المستميت للدفاع عن حياتها وكيانها ؛ وقد لاح مدى لحظة حينما زحف الجيش الثائر على مدريد ، وطوقها من معظم النواحي أن مدريد ستسقط تواً ، وأن الجمهورية الاسبانية قد تلفظ أنفاسها الأخيرة في أيام قلائل ؛ ولكن الجيش الثائر لقي مقاومة شديدة لم يكن يتوقعها ؛ وتدل الأنباء الأخيرة التي وردت ونحن نكتب هذه السطور أن القوى الجمهورية التي تدافع عن مدريد قد عادت إلى الهجوم ، واستردت بعض المواقع التي تشرف على العاصمة ، وأن الأمل قد يتجدد بإنقاذ مدريد وإنقاذ الحكومة الجمهورية ؛ بيد أن مصاير الحرب قد تتغير فجأة ، وقد تسقط مدريد في يد الثوار قبل أن تطلع (الرسالة) على القارئ بهذا المقال

على أنه يجب أن نلاحظ أولاً أن سقوط مدريد لا يعني ختام الحرب الأهلية الاسبانية ؛ ولا يعتبر نصراً حاسماً للثورة العسكرية ؛ ذلك أن سقوط العاصمة قد قدر منذ بعيد وبحثت الحكومة الجمهورية كل ما يترتب عليه من الاحتمالات ؛ ولن يترتب عليه من الوجهة المادية سوى كسب الثوار لمدينة جديدة ، وإن كان يعتبر من الوجهة المعنوية فوزاً له قيمته ؛ ومازالت الجمهورية مسيطرة على شرق اسبانيا كله من قطلونية حتى مالقة ، وكذلك على قسم كبير من الأقاليم الوسطى والشمالية ؛ فاذا سقطت مدريد ؛ قامت الحكومة الجمهورية في برشلونة أو في قاعدة أخرى ، واستمر النضال مضطرماً بين الفريقين

ولكن هزيمة الثوار أمام مدريد قد تكون بالعكس موقعة الفصل في هذه الحرب البربرية المخربة ؛ ذلك أن قوى الثوار ومواردهم محدودة ، وقد دفعوا إلى المعارك الأخيرة بكل قواهم ومواردهم الاحتياطية . فاذا هزموا أمام العاصمة بعد أن لاح لهم أمل الظفر ، تفككت قواهم وخبت روحهم المعنوية ، وربما اضطروا إلى الانسحاب عن جزء كبير من الأقاليم التي يحتلونها ؛ وعندئذ تتطور مصاير الحرب في صالح الجمهورية

***

ولقد عالجنا موضوع الحرب الأهلية الاسبانية منذ نشوبها في أواخر يوليه الماضي ، وقلنا يومئذ والحوادث في بدايتها إن هذه الحرب الأهلية الداخلية ليست إلا طوراً من أطوار الصراع الأوربي العام بين الديمقراطية والفاشستية ، أو بعبارة أخرى بين النظم الحرة والطغيان العسكري ؛ وقد أيدت الحوادث رأينا وما زالت كل يوم تكشف لنا عن هذه الحقيقة بأدلة مادية لا شك فيها ؛ وإذا كان مما يدعو الى الأسف أن حكومة مدريد الشعبية قد اضطرت إزاء الظروف القاهرة أن تعتمد في نضالها على بعض العناصر غير المرغوب فيها من شيوعية وفوضوية ؛ فليس معنى ذلك أنها حكومة شيوعية كما تصورها لنا الدعاية الفاشستية ، بل هي في الواقع حكومة جمهورية شعبية من ورائها العمال والفلاحون والطبقات الوسطى أو بعبارة أخرى من ورائها الشعب الاسباني . أما الثورة التي يرفع لواءها الجنرال فرانكو وزملاؤه من القواد والضباط الخوارج فهي ثورة النظم الطاغية التي حطمتها الجمهورية في سنة ١٩٣١ ، ومن ورائها الملوكية الذاهبة والكنيسة وأحبارها وكبار الملاك وأصحاب الأموال ، والقواد والضباط الخوارج ، وهي العناصر التي كانت تتمتع بالنفوذ والسلطان في ظل الملكية الذاهبة ، وترهق الشعب الاسباني بطغيانها وامتيازاتها وجشعها ؛ فلما ظفر الشعب الاسباني بالقضاء على الملوكية في سنة ١٩٣١ لبث أنصارها من الأحبار والملاك يترقبون الفرص للانقضاض على النظام الذي قضى على نفوذهم ؛ وقامت الوزارة الجمهورية الأولى التي يرأسها السنيور أزانا ببعض الاصلاحات السياسية والاجتماعية كنزع ملكية بعض الضياع الكبيرة وتوزيعها على الفلاحين ، وفصل جماعة من الضباط

الذين يشك فى ولائهم ، والحد من سلطات الكنيسة وأحبارها ، فزادت هذه الاجراءات فى غضب العناصر الرجعية ؛ وفرت رؤوس الأموال الكبيرة الى الخارج ، وزادت العطلة والبأساء وأخذت الجمهورية الجديدة تتخبط فى غمار من الصعاب السياسية والاقتصادية ؛ وجاءت بعد وزارة أزانا فى أواخر سنة ١٩٣٣ وزارة محافظة فألغت هذه الاصلاحات ، ولكنها فشلت فى معالجة الأزمة الاقتصادية ؛ وأسفرت هذه الأزمة غير بعيد عن قيام بعض الحركات الثورية الخطيرة ، ولا سيما فى منطقة الاستورياس وفى قطلونية حيث يشتد الاحتشاد الصناعى ؛ وعملت العناصر الرجعية على إذكاء الثورة ، ولكنها أخفقت وسحقت فى سيل من الدماء ؛ وقامت وزارة اشتراكية جديدة برآسة السنيور أزانا فى فبراير الماضى ، وعاد الفلاحون إلى المطالبة بنصيبهم من الأرض ، واستولوا على كثير من الضياع واضطرت الحكومة أمام الضغط العام أن تقر هذه الحركة ، واشتدت فى محاسبة الكنيسة ونزع أملاكها وفى مطاردة أحبارها وتجريدهم من كل حول ونفوذ ؛ ولكنها لم تفعل شيئاً لاصلاح الجيش وتطهيره من العناصر الناقمة ، مع أن الجيش كان مصدر الخطر على الجمهورية ، ولو فعلت لتغير سير الحوادث ؛ ورأت العناصر الرجعية أن تلتف حول العناصر الناقمة فى الجيش من قادة وضباط ، وأن يتحد الجميع على مقاومة هذه الحركة الخطيرة التى ستنتهى بالقضاء عليهم وعلى أملاكهم وامتيازاتهم ، وكانوا يضمون آمالهم فى الجيش والحرس المدنى ، ويعولون على إسقاط الجمهورية بثورة عسكرية محلية ، لأن الشعب لا يحبهم ولا يمكن أن يصغى اليهم ؛ ولكن الحكومة الجمهورية كانت على شىء من التحوط والحذر ، فاضطروا أن يولوا شطرهم إلى مراكش حيث تكثر العناصر الناقمة فى الجيش ، وحيث يستطيعون الاعتماد على الجند المغاربة ، وعلى المعاونة الخارجية

***

هكذا اجتمعت أسباب الثورة الاسبانية التى انفجرت فى ١٧ يوليه الماضى ، وتولى قيادتها الجنرال فرانكو حاكم جزر الكنارى ، وأحد زعماء الجيش الناقمين ؛ على أن هذه الثورة لم تنشأ مستقلة ، ولم تكن داخلية محضة ، فقد كانت تعتمد منذ الساعة الأولى على المعاونة الأجنبية ، ولم يك ثمة شك فى المصدر أو المصادر التى قدمت هذه المعاونة ؛ فقد رأت الفاشستية الايطالية وهى عماد النظم العسكرية الطاغية فى أوربا الجنوبية لأسباب سياسية وعسكرية أن تشد أزر الجنرال فرانكو ، وأن تعاونه بكل الوسائل ؛ ورأت ألمانيا النازية من جانبها أن تشترك فى هذه المعاونة لأسباب وبواعث مشابهة ، ذلك أن قيام حكومة عسكرية رجعية فى مدريد تقوم على وسائل الطغيان والعنف التى تقوم عليها الفاشستية الايطالية والنازية الألمانية ، مما يقوى هذه النظم من الوجهة المعنوية ، ومما يضعف جبهة الديموقراطية الأوربية التى تقف فى وجه الفاشستية والنازية ؛ وحصن الديموقراطية الأوربية انكلترا خصيمة إيطاليا منذ الحرب الحبشية ، وفرنسا خصيمة ألمانيا التاريخية ؛ وإيطاليا ترى فى قيام حكومة فاشستية فى أسبانيا تقع تحت نفوذها وتأثيرها وسيلة لتقوية نفوذها فى غرب البحر الأبيض وتهديد مركز إنكلترا فى هذه المياه ؛ ولذلك لم تدخر إيطاليا وألمانيا وسعاً فى إمداد الثورة الأسبانية بالسلاح والذخائر والرجال ؛ ولم يبق سراً أن أسطول الثوار الجوى كله يتكون من طيارات إيطالية وألمانية ، وأن ضباطه جميعاً من الايطاليين والألمانيين ؛ وأن إيطاليا قد اتخذت من جزيرة ميورقة مركزاً لامداد الثورة الأسبانية وتموينها ، وأن الامدادات الألمانية تصل إلى الثوار من الشمال ، ومن الغرب بواسطة البرتغال التى تعمل أيضاً فى معاونة الثورة وإمدادها تحقيقاً لأطماع ومصالح خاصة ؛ وقد ترددت فوق ذلك إشاعة قوية بأن هنالك اتفاقاً سرياً بين الثوار وبين إيطاليا وألمانيا والبرتغال ، يقضى بأن تأخذ إيطاليا جزر البليار ثمناً لمعاونتها ، وتأخذ ألمانيا جزر الكنارى ، وتأخذ البرتغال بعض الأراضى المجاورة لحدودها الشرقية ؛ وهو اتفاق لا يبعد صدوره من زعماء عسكريين يعملون بمال الأجنبى وسلاحه لسحق الحريات الشعبية فى بلادهم وإراقة دماء مواطنيهم على هذا النحو الذريع الذى تطالعنا به الأنباء كل يوم ؛ وهذا الاحتمال مما يثير اليوم فى فرنسا وانكلترا أشد الجزع ، لأن جزائر البليار على مقربة من المياه الفرنسية وهى واقعة فى طريق الجزائر ، ولأن حلول إيطاليا بها يعرض سيادة انكلترا فى غرب البحر الأبيض

ومواصلاتها الامبراطورية من طريق جبل طارق إلى أشد الأخطار

على أن تدخل الدول الفاشستية فى الحوادث الأسبانية على هذا النحو كان له رد فعل مماثل ؛ فقد رأت روسيا السوفيتية من جانبها أن تقاوم نفوذ الفاشستية فى أسبانيا بمعاونة الحكومة الجمهورية ، وقد قابلت المثل بارسال السلاح والذخائر والطائرات إلى حكومة مدريد ، وقد ظهر أثر هذه المعاونة أخيراً بثبات الجنود الجمهوريين وانقلابهم إلى الهجوم فى كثير من المواقع حول مدريد ؛ ولهذا التدخل الثانى فى الحوادث الأسبانية قصة دولية مضحكة ، فقد اقترحت فرنسا فى بدء نشوب الحرب الأهلية الأسبانية على الدول أن تتبع إزاءها سياسة الحياد المطلق ، ووافقت على هذا الرأى انكلترا وألمانيا وإيطاليا وروسيا والبرتغال ، وأنشئت لجنة عدم التدخل لتراقب تنفيذ هذه السياسة المشتركة ولكن الدول الفاشستية كانت تعبث منذ الساعة الأولى بمبدأ الحياد ، وكانت روسيا تقابلها بالمثل ، وقد اشتركت فرنسا أيضاً فى معاونة حكومة مدريد ولكن بشكل مستتر ؛ فلما ظهر أن الدولة الفاشستية تمادى فى معاونة الثورة ، رفعت روسيا القناع أيضاً وأنذرت أنها تستأنف كل حريتها فى العمل إذا لم تقم الدول الأخرى ، أعنى ألمانيا وإيطاليا ، بالكف عن مساعدة الثوار ؛ والآن تبدو مساعدة روسيا لحكومة مدريد بشكل واضح وتتقاطر السفن الروسية من البحر الأسود إلى مياه برشلونة وبلنسية واليقنت مشحونة بالذخائر والمؤن ، وقد يتطور الموقف إلى أشد من ذلك ، وقد يفضى هذا التدخل المزدوج غير بعيد إلى مصادمات وحوادث لا تؤمن عواقبها على السلام الأوربى

لقد غدت الفاشستية مصدر الخطر على سلام أوربا ، وكانت البلشفية قبل عامين مصدر هذا الخطر العام ، ولكن روسيا السوفيتية رأت فى النهاية أنها لا تستطيع أن تبقى فى عزلتها الخطرة خصوصاً بعد أن استعادت ألمانيا جيشها وتسليحاتها فى ظل الفاشستية الهتلرية ، فانضمت إلى جبهة الدول الغربية ، وعقدت مع فرنسا الميثاق الشهير الذى اتخذته ألمانيا ذريعة لنقض جميع تعهداتها العسكرية فى معاهدة الصلح ؛ وقد حل الخطر الفاشستى الآن فى تهديد سلام أوربا محل الخطر البلشفى ؛ وقوام هذا الخطر مطامع ألمانيا وإيطاليا العسكرية والاستعمارية ؛ وقد رأت روسيا أن قيام دولة فاشستية جديدة فى أسبانيا مما يقوى جبهة الدول الفاشستية ضدها ، فرأت أن تخوض المعركة فى أسبانيا ضد التدخل الفاشستى ، وأن تعاون حكومة مدريد ما استطاعت لأن فى فوزها فوزاً للجبهة الديموقراطية التى اندمجت فيها روسيا

فالمعركة التى تضطرم الآن فى أسبانيا هى معركة مبادئ تذكيها المصالح والمطامع السياسية والعسكرية ؛ وهى مظهر محلى لتلك المعركة العامة التى تضطرم فى أوربا بين الجبهتين الخصيمتين ؛ ومن الخطر على سلام أوربا وعلى حريات الأمم الضعيفة أن تنتصر هذه الثورة الفاشستية ؛ وربما كان انتصارها نذير حرب أوربية إذا لم تنجح أوربا فى حصر هذه الشعلة المضطرمة داخل أسبانيا ؛ بيد أن المعركة ستستمر حيناً آخر ، وقد تتغير مصاير الحرب بين آونة وأخرى ، فتحرز الجمهورية الأسبانية نصرها الحاسم ، وتتحطم مشاريع الدول الفاشستية ، وينجو السلام الأوربى مما يتهدده من الأخطار

(...)

لجنة التأليف والترجمة والنشر

ضحى الإسلام

الجزء الثالث

للأستاذ

أحمد أمين

يبحث فى عقائد الفرق الدينية فى العصر العباسى الأول من معتزلة وشيعة ومرجئة وخوارج ، كما يبحث فى التاريخ السياسى لكل فرقة وفى أدبها

يقع فى نحو ٤٠٠ صفحة من القطع الكبير وثمنه عشرون قرشاً عدا أجرة البريد . وسيظهر يوم ١٠ نوفمبر سنة ١٩٣٦

ويطلب من لجنة التأليف ومن المكاتب الشهيرة

من النيل ... الى الرافدين

للأستاذ عبد المنعم محمد خلاف

حينما قيل لى فى وزارة المعارف : إنك ممن اختيروا للانتداب للتدريس فى مدارس العراق ، أحسست أن واجبا ينادينى ويطلب التلبية مهما كانت فجأة النقلة ووعثاء السفر ولوعة الفرقة للأهل والوطن . . . تحقيقاً للثقة العراقية فى السمعة المصرية التى رفع الله ذكرها فى الشرق العربى الاسلامى ، ووفاء لناشئة العراق ببعض ما لأجدادهم على العقلية العربية العامة من دَيْن المجد والدين والعلم ... وإيغالا بالجسم فى صميم الشرق ... وملأً للنفس من روحه الذى أومن بسره وسحره . . وتوثيقا للعلائق بين البلدان العربية التى ما يبزغ فجر يوم جديد إلا وفيه أمل مشرق بوحدتها التى يرسم القلم الأعلى حدودها ، وينسج الزمان بنودها ، ويصنع جنودها

* * *

وانطلق الجسم من حدود الأرض التى له فيها تاريخ وأطوار . . إلى الأرض التى للروح والعقل فيها أشواق وأوطار ! فقد عاشا فى ميراثها ، وقبسا من هداها للجنان واللسان ، واعتزا بفتوح أقلامها وسيوفها ، فهما منها على غير نُكْرٍ

واستدبرت السفينة شاطىء الوطن الذى فى ترابه أبى ، وعلى ترابه أمى ، فأحسست شعور الانفصال له وقدة على كبدى !

وسارت الفلك واحتواها الماء الذى قامت على عبريه بواكير الحضارات ، وذابت فى عبابه دولات ، فقرأناه ككلمة خالدة فى التاريخ ، وعبرناه كقطرة فى محيط الطبيعة

وأقبل الليل ونحن على موج نرى جهاد السفينة فيه ، والتقاء الظلام به ، وإشراق النجوم عليه ، فاذا القلب خافق صريع بسحر هذه الأكوان الثلاثة التى فى كل منها محراب لعبادة الجمال الأعلى

وتنفس الصبح على صفحة البحر فاذا لون من بهجة الحياة يشيع فى النفس فتود لو أن الفَلَك والفُلك وقفا فلا يريمان !

ولاح حاجب الشمس من صوب فلسطين الثائرة ضد البطش والدس ، فاذا بالعيون تشخص والخيال يطوف فى بطون الوديان وقنن الجبال ، فلا يرى إلا ثائرا رابضاً وراء صخرة ، أو طائراً يقذف « بالبَيْض » مصارعَ ، أو شِلوا فى فم ذئب ، أو عينا فى منقار طير ، أو طراداً عنيفاً بين قوة جبارة تعتمد على حذق للجديد من أساليب الحرب ، وبين مقاومة صلبة فدائية تعتمد على الحق وامداد الايمان ؛ فسألنا الشمس أم الحياة أن تشرق بالأمل على قلوب أبناء عمومتنا ، وأن تنضح مضاجع الشهداء بالشعاع المسكوب !

ثم أوفت بنا السفينة الى بيروت وقد مال ميزان النهار الى الغروب ، فلاحت « الحمراء » فى سفح لبنان كغادة نائمة فى حضن جبار . فودعنا البحر واستجممنا قليلاً ، ثم اجتزنا لبنان فى طريق كسير الأفق فلم نر منه غير جماله النائم ، وعهدى به منذ ثلاث سنين فى ضحوة النهار ، أرض الفتنة والسحر

لبنان والخلد اختراع الله لم يوسم بأجمل منهما ملكوته

ونزلنا دمشق عرش أمية الفاتحة الماهدة لدولات العرب طريق الحضارة والاستقرار فى الوطن الكبير ، فما رأينا منها إلا كما يرى النظر الطائر من مدينة تتثاءب لهجعة الليل . وما هى إلا بقية من سواد قضيناها فى فندق أمية حتى غدونا مصبحين مسرعين الى سيارات الصحراء . . وهكذا خرجنا من الفيحاء من غير أن نرى أفراحها ومباهجها لاسترداد حريتها واستقبال وفدها ، ومن غير أن نحج الى مناسك جهادها وأعلام تاريخها

* * *

فلما جاوزنا أرباض المدينة ، وابتدأت صفرة الصحراء تطغى على خضرة الزرع ، أخذت أجمع نفسى وأرهف حسى لأستقبل المجهول الذى طالما تاقت الروح إلى اختراق غيوبه وهتك حجابه حتى ترى ما فيه من صور الصمت والهول والوحشة ، ونستلهم سماءه بعض المعانى التى فتقت ألسنة آبائنا بهذه الألفاظ البدوية الواعية لما أتت به الحضارات والمترجمة عن خلجات النفس ودقائق الأحاسيس

وهنا ابتدأ شعور مفاجىء لا تاريخ له فى قلبى ، فحملق البصر وتفرس فى ذلك الرحب ليرى ظلال الأجناد والأحداث التى قلب بها القدر أوضاع الأرض بأيدى محمد وأبى بكر وعمر ، وطغيان الموجات العربية فى فترات التاريخ ، وولادة الجزيرة ،

واحتضان العراق والشام ومصر لما تلد ؛ ثم انحسرت هذه النظرة الأولى وارتدت تستنشد اللسان قول لبيد :

بلينا وما تبلى النجوم الطوالع   وتبقى الديار بعدنا والمصانع !

***

ثم احتدمت الهاجرة ، والتهب الهواء ، والتمع السراب ، وبرزت الصحراء الحمراء عارية تحت عين الشمس ، ونحن فيها « كركب من الجن في زي ناس » فوق مركب « يملأ الآفاق صوتاً وصدى » فتصطف له أرواح الصحراء ترى ، في عجب ، سحر الحياة الجديدة !

وفي خطفة من خطفات الروح تلفت القلب صوب الجنوب فرأى المدينتين الغريقتين في أمواج الرمال تتحديان بصمتهما وعزلتهما ضجة الدنيا بالشهوات ، وسمارها بالآفات ، فحييتهما تحية القدوم على أقرب الحدود لهما ، وأخذت الطمأنينة والسلام لنفسي منهما . . .

وفي مغرب الشمس وافينا « الرطبة » أول محطة عراقية ، فكان أول صوت رن في آذاننا صوت الحاكي يغني أغاني من « دموع الحب » في مقهى هناك وقد التف حوله السُّمّار في إنصات وطرب . فقلنا ها هي ذي مصر تسبقنا إلى العراق ، فلا وحشة ولا اغتراب . ثم وجدنا من البشاشة لنا والأنس بنا ما أنسانا أننا في صحراء تبعد عن مصر بأربعين ساعة بالوسائل السريعة !

وما غشي الليل وحبك الظلام حتى واصلنا السير فكنا في الصحراء كسر في ضمير حليم ! وجعلنا نسرح الطرف من خلال زجاج السيارة وقد غشيه الغبار فلا نرى غير نجوم وهنانة سأمانة من طول الوقوف على هذا الديموم

وجاءت سكرة النوم فهمدت الأجساد ونام كل « على نفسه » في مجلسه ، واستراحت المقل من التصويب والتصعيد في الأفق البعيد ، وهكذا نمنا على دوي الرحى . . . ولم يوقظنا إلا وقوفها في « الرمادي » في الهزيع الأخير ... فألممنا بها للتأشير على جوازات السفر . . . ثم وصل ما انقطع . . . اطراد السير والنوم حتى نرد بغداد مع الصباح . .

***

« هذه هي بغداد أيها الركب ؟ » هكذا قال الصبح الوليد . . . فمسحت جفوني ، وجعلت أتلفت عن شمالي ويميني لأرى مدخل دار السلام . . . المدينة التي احتضنت نتاج مكة ويثرب ودمشق وأثينا وروما والمدائن والاسكندرية ، وزاوجت بين ألوانه ، ومزجت ثقافاته حتى رأت الدنيا من تفاعلها عالما جديداً غريباً . . . !

المدينة التي اضطلعت بالوصاية على ميراث الدين والعلم في زمن الجهل فربا في أيدي بنيها المثالين لأجناس الناس وأديانهم وألوانهم ، فجمعوا خلاصة ما في الانسانية من تسامح وتلاق على المعنى الموحَّد والرأي المجتمع

المدينة التي كان الحج اليها واجبا على من كان يريد أن يتملى من دنيا القرون الوسطى في عظمة ملوكها وبطولة قوادها وفحولة علمائها وبلاغة صناع الكلام بها وضجة سوامرها بالأنشاد ، ورنين الكؤوس ، وضحك المجان ، وعزف القيان . . .

ومهما يكن من عبث الزمان بها وتقلب الأحداث عليها ، وتبدل المشاهد فيها ، فان أطياف الماضي لا تزال تخايل أمام العيون التي تعرفت اليها في دنيا الكتب وصحائف الآثار . والذين يجدون في أنفسهم قدرة على ذكرى الأضواء والألوان لا يستطيعون أن يمروا على تراب كتراب بغداد ، وقد ضم بين معادنه أشعة سقطت من أمجاد تاريخهم وعرش دينهم وعلمهم . . دون أن يتفرسوا بين طياته ، وتحن قلوبهم الى الالتصاق بذراته !

***

وبعد . فان ما رأيناه من حفاوة إخواننا العراقيين حكومة وشعبا بنا ، وتقديرهم الجميل لجهود المصريين في المعاونة على تنفيذ سياسة الانشاء والتعمير ، وثقتهم فيهم حتى لقد أسلموا إليهم أعز شيء في الدولة وهو نفوس الناشئين ، ووقوفهم على الدقيق والجليل من شؤون مصر . . وامتلاء دورهم ونواديهم بأغاني مصر في المذياع والحاكي . . . كل أولئك مما يجعل الأمل يوشك أن يكون يقيناً بأن الشرق العربي قادم على عهد من وحدة النزع ومجابهة الحياة في صفوف يجمعها نظام موحد وإن اختلفت أوضاعها في الميدان العام

وإنه ليسرني الى ما يقارب الفخر . . . أن تكون مهمتي في مصر والعراق من أمس المهمات باعداد العقلية العامة في الناشئين لهذه الحال الموموقة والتوسيد لها . . وأنعم بها من رسالة لمعلم !

(كوت العمارة)   عبد المنعم محمد خلاف

في الأدب المقارن

أثر الفنون

في الأدبين العربي والانجليزي

للأستاذ فخرى أبو السعود

تختلف الفنون فى مجالاتها وبعض وسائلها : فللشعر من القدرة على وصف الحركة وتناول الأشياء المتباعدة فى الزمان والمكان ما ليس للتصوير ، ولهذا من القدرة على بيان دقائق الموصوف وتحديد ماهيته ما يعوز الشعر ؛ ولكن الفنون تتفق جميعاً فى غايتها التى هى التعبير عن تأثر الانسان بروائع الحياة وشغفه بجمالها ، وفى كثير من وسائلها التى تتصل بطبائع الانسان وميوله : كالتناسب والتماثل والتكرار فى الشكل أو فى النغمة أو فى الروى ، والتقابل والتضاد فى كل أولئك

فالفنون على تعددها مظاهر شتى لصفة إنسانية واحدة ، هى ترهُّفُ الشعور وحب الجمال . ولا يخلو المبرِّز فى أحد الفنون من بَصَرٍ بسائرها وإن قل ، وحب لها يعلو على حب الفرد العادى . وكثيراً ما جمع الفنان الموهوب بين فنون عديدة يبرع فيها جميعاً ؛ وقد نبتت الموسيقى والشعر والرقص بين الجماعات الأولية من أصل واحد ونمت حتى استقل كل منها . وكان الشعر فى بدئه موسيقى مجماء وصيحات غنائية غير ذات معنى ، ثم داخلها المعنى تافهاً فى أول أمره ، وما زال يتعاظم شأنه حتى احتل المكانة الأولى فى الشعر ، وإن لم تفقد الموسيقى أهميتها فى رصانة القصيد ، فأى شعر خلا منها قصر عن أوج الكمال مهما سما معناه

وقد مارس العرب والانجليز تلك الفنون الثلاثة : الموسيقى والرقص والشعر ، منذ عهودهم الأولى ، وارتقت موسيقاهم بمخالطة الأمم الأخرى : فأخذ العرب عن الفرس ، والانجليز عن الايطاليين خاصة والفرنسيين ما لم يكونوا يعرفون من أصوات الموسيقى وآلاتها ومصطلحاتها وبان أثر ذلك فى أدبهم . وأبدع أمثلة لشعر الغناء والرقص فى الانجليزية قصائد ملتون التى نظمها قبل انغماره فى حركة المطهرين . وممن تغنى من شعراء الانجليزية بتأثير الموسيقى والغناء دريدن فى قصيدته « مأدبة الاسكندر » ، وكولنز فى قصيدته « العواطف »

وبذلك تغنىَّ أيضاً شعراء العربية ، بل بلغ انكبابهم على غشيان مجالس الغناء والرقص حداً بعيداً ، بعد أن انتشر الترف عقب الفتوح ، حتى كاد شعر كثير منهم ، كبشار وأبى نواس ، ينقسم إلى بابين رئيسيين : المدح الذى يُطالب من ورائه المال الوفير ، والتغنى بمجالس اللهو والطرب التى يُنفق فيها ذلك المال . ومن جيِّد ما قيل فى وصف المغنيات وآلات الموسيقى قول ابن الرومى :

وقيانٍ كأنها أمهات	عاطفات على بنيها حوانِ
كل طفل يدعى بأسماء شتى	بين عود ومِزْهَرٍ وكرانِ
أمه دهرَها تترجم عنه	وهو بادى الغنى عن الترجمان
ذات صوت تهزه كيف شاءت	مثلما هزت الصَّبا غصنَ بان

وقوله فى راقصة :

إذا هى قامت فى الشفوف أضاءها
سناها فشفَّتْ عن سبيكة سابكِ

وارتقى بين الأمتين حين تحضرتا فن العمارة ، وقامت فى بلادهما بيوت الملك والعبادة ، والحصون والمعاقل ، وتأثر فن العمارة فى كلتيهما تأثراً كبيراً بالطراز القوطى ، واسترعت الأدباء تلك المبانى الضخمة والحصون المشيدة ، تروع الناظر فخامتها ، ويعجب اللب من مغالبتها كر السنين ومصاحبتها جيلا من الناس بعد جيل ؛ وشغل شعراء العربية خاصة بوصف قصور الملوك ، وما حوَتْ من ضروب الزخرف . ولفتت أذهانَ شعراء الانجليزية وكتَّابها القصور والبروج المتخلفة من عصور الاقطاع تلك التى تجيش بذكريات الماضى والتى شهدت مصارعات الأمراء ومحنهم فى غياباتها . وكانت لكثير من الأدباء مواقف بالكنائس والكتدرائيات ، ولا سيما وستمنستر أبى التى تعج رحابها بآثار الماضى

ووصلت يد كل من الأمتين إلى تراث اليونان ، فاختلف موقفاهما : فأما الانجليز فلم يتركوا شاردة ولا واردة من آثار

ثقافة اليونان وفنونهم إلا تزودوا منها ، فأحدث اطلاعهم على روايات سوفوكليس وأوربيدس انقلاباً فى « رواية المعجزات » التى ترعرعت فى الكنيسة فى العصور الوسطى ، فالتفتت إلى تصوير طبائع النفس الانسانية ، أى صارت فناً ؛ وأخذ الانجليز عن اليونان وتلامذتهم الطليان النحت والتصوير . وكانت بلاد اليونان وإيطاليا وما تزالان محج رجال الفنون الانجليز من شعراء ومصورين ونحاتين وموسيقيين ، وكانت صورهم وتماثيلهم وماتزال وحياً ونماذج لفنانى الانجليز ؛ وأنجبت إنجلترا عدداً عديداً من نوابغ المصورين والمثالين جاروْا أساتذتهم من أهل القارة فى مجالات النحت والتصوير ، كما جاروهم فى مضمار الأدب

وظهرت آثار تلك الفنون فى الأدب الانجليزى : فالتمثيل صار باباً من أبواب الأدب له خطره ، وتوفر عليه أكثر نوابغ العصر الاليزابثى وكثير ممن تلاهم . والصور والتماثيل التى أبدعها رجال الفن الانجليز أمثال رينولدز وكنستبل وترنر ، والأجانب أمثال رافائيل ودورر وفانديك ، وسير أولئك النوابغ ، صار كل ذلك مجالاً لتأمل الشعراء والكتاب ، ومهبطاً لآثار أخرى فى عالم الأدب لا تقل مكانة عن تلك الآثار فى عالم النحت والتصوير ؛ وصرف بعض الأدباء هممهم إلى نقد أعمال المصورين والنحاتين والمثلين ، ومن أولئك هازلت ورسكن ، وإلى الأخير يرجع الفضل فى إظهار المصور ترنر

وقد قضى كيتس وشلى وبيرون وبروننج وهاردى ردحاً طويلاً أو قصيراً من أعمارهم فى إيطاليا ، حيث استطابوا مناظر الطبيعة وتفيأوا ظلال آثار الرومان واستلهموا بدائع المصورين والمثالين الطليان ، بين رومة وفلورنسة والبندقية ، وقضى الشاعران الأولان نحبيهما هناك ، ودفنا فى أرباض تلك المعاهد التى ألِفاها حيَّيْن . وبين أطلال رومة نبتت فكرة عمل من أكبر أعمال النثر الفنى فى الانجليزية ، ألا وهو تاريخ جيبون عن انحطاط الدولة الرومانية وسقوطها ، فهو يحدثنا فى مذكراته أن الرغبة فى وضع مؤلَّفه عنَّت له أثناء تجواله هناك بين آثار الوثنية ومعالم النصرانية

ولم تقتصر الصلة بين الأدب وغيره من الفنون على اقتباسه منها واستلهامه إياها ، بل حدث العكس : إذ عمد أعلام تلك الفنون إلى الأدب يطلبون الوحى وينشدون النماذج ، فوجدوا فى روايات شكسبير العديدة ، ومناظرها الكثيرة ، وشخصياتها الحية ، ومواقفها الحافلة بشتى العواطف ، وفى خرائد ملتون المملوءة بالأوصاف والصور والحالات النفسية ، وفى روائع تنيسون وبروننج المنسوجة من أشتات الخرافات البديعة ، منادح لفنهم ومسرى لخيالهم . والمتاحف الانجليزية ملأى بتلك الآثار المنتزعة من قصائد الشعراء . كصور ليدى شيلوت ، وأوفيليا ، والحسناء القاسية

وكان من شعراء الانجليزية المعدودين من ضربوا بسهم فى الفنون الأخرى ، واشتهروا بها اشتهارهم بصناعة القلم : فشكسبير كان ممثلاً كما كان شاعراً ومؤلفاً للمسرح ، ووليم موريس كان مصوراً وشاعراً ، وروزيتى ألّف جماعة « ما قبل الرافائيليين » التى كانت لها مبادئها فى التصوير ، كما كان لها مذهبها فى الأدب ؛ وأكثر من هؤلاء من لم تدركهم الشهرة فى غير الأدب من الفنون ، وإن كانوا شديدى الولع بها ، شديدى الشغف بممارستها والتثقف فيها

وهكذا أصبح من غير النادر فى الانجليزية أن ترى الأسطورة أو القصة التاريخية ، كوقائع يوليسيز ومخاطرات فرسان المائدة المستديرة . وقد تناولها الشاعر والممثل والمصور والنحات كل من ناحيته مستقلاً بنظرته ، أو معتمداً على الآخرين ، مستلهماً محاسنها ومغازيها ، مبرزاً من صورها وأفكارها ما يلائم فنه ويجرى فى مجال صنعته ، نافثاً فيها من خلاصة تفكيره وعصارة شعوره واتجاهات عصره ما يزيدها جدة وروعة

هذا التواصل والتجاوب والتعاون المستمر بين الفنون زاد الأدب الانجليزى خصباً على خصب أفسح أمامه أغراض القول ، وزاد رجاله بصراً بحقائق الفن وغاياته ووسائله ، واعتقاداً بوحدة الفنون جميعاً وتلاقيها فى الوسائل والغايات ؛ فحرصوا فى نثرهم ونظمهم على صدق النظرة وصحة الشعور ونشدان الجمال ، واستعاروا وسائل الموسيقار والمصور والممثل والنحات ، فاهتموا بالأوصاف الجميلة للطبيعة والانسان ، واعتنوا بتوضيحها وإبرازها ، متوسلين لتصوير المعنى بجرس اللفظ ومناسبة التعبير واختيار القوافى . وتصرفوا فى الوزن والروى بما يلائم الحالة الموصوفة من سكون

أو حركة، وفرح أو حزن، وقسوة أو لطف: وتأنقوا فى صوغ الحوار بين أبطال قصائدهم، معبراً حوارهم عن منازعهم؛ فاذا قرأت القصيدة القصيرة أو الطويلة لأحدهم، لم تجدك حيال معانٍ ذهنية متزاحمة، بل رأيت صوراً محكمة التصوير، وموسيقى مطربة النغمات، وأشخاصاً ممتلئين حياة وقوة وألواناً وظلالا

ولم يغفل الشعراء الذين مجدوا الفنون الأخرى ذلك التمجيد عن فهم الخاص: فنظم بوب وكيتس وتنيسون وغيرهم من الأعلام قصائد غراء فى الشعر والشعراء. وللتون وماثيو أرنولد أشعار فى شكسبير تفيض إعجاباً وتقديساً، ولوردزورث وتنيسون وأبر كرومبى الشاعر المعاصر فى ذكرى ملتون أشعار كهذه. وكان هاردى لا يمل ذكر شلى وتعظيمه فى قصيده؛ وكانت لشعراء الأمم الأخرى لدى شعراء الانجليز منزلة كهذه، فأشعارهم ملأى بمحاكاة الشعراء الأقدمين كهوميروس وفرجيل ودانتى والخيام، والمحدثين كشيلر وجيته وهيجو، وترجمتهم والتحدث عنهم، لأن الفن يجمعهم طراً فى صعيد واحد، ويمحو بينهم فوارق الزمان والمكان

وما أعظم الفرق بين هذا الاعجاب النبيل بمتقدمى الشعراء، وبين ما نراه فى العربية من وثوب بعض الشعراء ببعض، ووقوع حماد فى بشار، وحملة ابن الرومى على البحترى، وحقد دعبل على الطائى؛ أذهلهم التناحر على متاع الدنيا عن الصلة السامية التى يصلهم بها الفن؛ وقد نعلم أن البحترى كان يقدّم أبا تمام، وأن المعرى كان يعظم أبا الطيب، ولكن ذلك التقدير لم يتخذ شكلا فنيا، ولم يبرز فى عالم الشعر قصيداً رائماً يفيض بتقديس الفن وتبجيل رجاله. وبينما كان ذلك التحاقد ديدن شعراء العربية فيما بينهم كان جهلهم بشعراء الأمم الأخرى مطبقا

لقد حجب العرب عن تلك العوالم الفنية إعراضهم عن تراث اليونان الفنى، ودعاهم إلى ذلك الأعراض تمكن الملكة البيانية منهم؛ تمكنت من نفوسهم فى البادية، حيث لا تتوفر أدوات فن من الفنون سوى فن البيان الذى لا يحتاج إلى أدوات غير صفاء الذهن وطلاقة اللسان، وقوّى اعتداد العرب بتلك الملكة وتوفرهم عليها نزول القرآن الكريم الذى زادهم كلفا بالفصاحة، وكان دائماً أساس ثقافتهم التى يؤخذون بها من الصغر. فالانجليز اتصلوا بتراث اليونان وهم بعد مقصرون دون جميع غايات الثقافة، فاغترفوا من جميع مناهله؛ ولم يتصل العرب به وبغيره من تراث الأمم إلا بعد أن توطد أدبهم وتمكن سلطانه من نفوسهم، فشمخوا به على سائر الآداب، واستغنوا به عن كل الفنون

لذلك لم يحفل العرب بالتمثيل، ولم يزدهر بينهم التصوير والنحت، ولم يتعديا حدود الصناعة ذات الغرض المادى إلى حدود الفن السامى الذى هو غاية نفسه، واقتصروا من التصوير والزخرفة والنحت على ما كان يزين قصور كبرائهم من تهاويل ودُمى قليلة الحظ من الفن، لا تحمل وراءها من المعانى السامية ما تحمله الصور والتماثيل الفنية؛ واستبد الأدب بالتعبير عن أسمى مشاعر العرب وأرق أفكارهم. وإذا تذكرنا أن الفنّين الآخرين سالفى الذكر – الموسيقى والرقص – لم يتخلصا من ربقة المادية وشبهة الشهوات إلى عوالم الفن المتسامى بالنفوس، وظلا دائماً مقرونين بالشراب والقصف وخلع العذار، تبين لنا أن الأدب كان فنّ العرب الفرد، وأن الشعر ظل ديوانهم فى مختلف عصورهم، أودعوه حوارهم فاستغنوا عن التمثيل، وأوصافهم فاستغنوا عن التصوير، وأمداحهم فقام مقام التماثيل

ومن ثم نرى أثر فنون التمثيل والتصوير والنحت فى الأدب العربى ضئيلاً: فلم يكن بين العرب ممارسون لتلك الفنون ينعكس ظل فنونهم فى الأدب؛ ولم يكن لدى أدباء العربية كبير اهتمام بمخلفات الأمم السالفة فى مشارق دولتهم ومغاربها. ومن القليل الجيد الذى نظموه فى تلك المناحى سينية البحترى التى يصف فيها نقوش إيوان كسرى، ورائية ابن حمديس التى يصف فيها تماثيل الأسود فى بعض القصور، وسينية أبى نواس التى يصف عَرَضاً فى أثنائها تصاوير كأسه فى قوله:

قرارتها كسرى وفى جنباتها ... مهاً تدّريها بالقسى الفوارس
فللخمر ما زُرت عليه جيوبها ... وللماء ما دارت عليه القلانس

وقول بعض شعراء الأندلس فى تمثال امرأة وولدها:

ودمية مرمر تزهو بجيد ... تناهى فى التورد والبياض
لها ولد ولم تعرف حليلا ... ولا ألمّتْ بأوجاع المخاض
ونعلم أنها حجرٌ ولكن ... تتيمنا بألحاظ مِراض

ولا تخلو كل هذه الشواهد من آيات البراعة وحسن الملاحظة

والوصف ، حتى ليأسى المرء على أن لم يول العرب هذه المناحى من القول اهتماماً أكثر مما أولوها . وسينية البحترى مَثلٌ شرود من أمثلة الشعور الصادق والعاطفة الانسانية والروح الفنيـة فى الأدب العربى ؛ وأعجب من تفردها فى الأدب العربى صدورُها عن البحترى الذى سخَّر بيانه للمدح والهجاء . وقد كان نقاد العرب يطربون لهـذه الأشعار الفنية الجيلة ، البعيدة عن آثار المدح والهجاء والنسيب المتكلف ، فقد أعجب الجاحظ وغيره بسينيتى البحترى وأبى نواس سالفتى الذكر ، وعدوهما من ذخائر الشعر العربى ، ولكن دواعى مثل هذا النظم كانت نادرة ، وتيار محاكاة السابقين كان يدفع الأدباء فى غير هذا الاتجاه

فالأمتان العربية والانجليزية تتفقان فى ظهور الأدب فيهما على سائر الفنون واجتـذابه أغلب نوابغهما ، واشتهارهما بالسبق فيه بين الأمم ، فان الانجليز وإن جاروا الأوربيين فى مجالات النحت والتصوير لم يبلغوا شأوهم كما بلغوا الشأو والغاية فى صناعتى الشعر والنثر ، ولم ينجبوا من أعلام النحت والتصوير من توازى مكانته العالية مكانة شكسبير وملتون وبيرون ؛ ولكن تفترق الأمتان فى أنه بينما مارس الانجليز الفنون الأخرى وهاموا بها ومجدوا آثار الأمم الأخرى فيها أهمل العرب الفنون الأخرى إهمالاً يكاد يكون تاما ، فلم تجتذب اهتمام نوابغهم ومثقفيهم ، وظل ما عرفوه منها أدنى إلى الصناعات منه إلى الفنون ، وظل الأدب — ولا سيما الشعر — يشـغل فى عالم الفن والوجدان مكاناً عالياً وسلطة مطلقة فردية بين العرب ، كسلطة الخلفاء والأمراء المستبدة فى عالم السياسة ، متوحداً بالافصاح عن أفكارهم مستأثراً برعايتهم وإجلالهم

وقد خسر الأدب العربى بتفرده هذا الشىء الكثير ، لأن الفن الواحد لا ينمو خير نموه بعزلتـه ، بل بمواصلته الفنون الأخرى ؛ خسر ما كان ينتظر أن تمده به تلك الفنون من إلهامات ومنادح للقول ، وما كان ينتظر أن تبثه فى رجاله من فهم دقيق للفن وسمو غايته وتعاليه عن المـادة وبُعد مراميه ، وما توحيه إليهم من وسائل للتعبير والتصوير والملاءمة بين المعنى واللفظ ، وجعل الأخير دائماً خادما للأول . وبالجملة خسر الأدب معاونة الفنون التى استأثر بالمكانة دونها ، كما خسر مساعدة الآداب الأجنبية التى ترفَّع عنها

فخرى أبو السعود

صـــــديق !

للأستاذ على الطنطاوى

أستأذن أستاذنا المازنى فأستعير منه تلك الكليشيه المعهودة التى كان يصدر بها مقالات ذات الثوب الأرجوانى ، لأقول : إن المقالة خيالية لا حقيقية ، وأؤكد هـذا للقراء !

(على)

قال :

... لا أدرى كيف عرفته ، ولا أعلم السبيل التى دخل منها إلى قلبى ؛ فاحتل فيه هذه المنزلة ، ولم أنتبه له إلا وهو ملء سمعى وبصرى وعقلى ...

وإننى لأعرفه منذ عشرين يوما ، ولكنى أحاول عبثاً حين أحاول ادكار بدايتى معه ، لأنه عماد حياتى ؛ لا أستطيع أن أتصور لصلتى به بداية ؛ عرفته يوم عرفت الدنيا ؛ لم أجهله قط ولم أنفرد عنه ساعة ؛ وهو دنياى ، إن لقيته لقيت الحياة ، وإن نأى عنى وجدت كل شىء فى الحياة ميتا

ولست أدرى أى صلة هذه ، ولا أعرف لها تحديداً مضبوطاً ، ولكن الذى أدريه وأعرفه أنه ليس له فى أعماق قلبى إلا الصداقة . إننى لم أنظر إلا إلى روحه ، بل أنا لا أقدر أبداً أن أتخيله بشراً من لحم ودم . إننى أراه فكرة سامية ، صورة شعرية بارعة ، معنى من المعانى العبقرية ... إننى أراه وحده معنى كلمة الوجود ... لقد ضاعت معه حدود شخصيتى ، ومحيت معالمها ، فلم أعد أعرف أين أنتهى (أنا) ، وأين يبدأ (هو) ، وامتزجت نفسى بنفسـه ، فكأنى (أنا من أهوى ومن أهوى أنا . . .) ، وكدت أقول بالحلول ، وأرتكب هذه الحماقة الكبرى ، التى لا يقول بها ذو عقل . . . حين رأيتنى أضحك إذا سر (هو) ، وأحزن إذا تألم ، وأشبع إذا أكل ، وإذا أصابه الصداع وجعنى رأسه ، وإذا رأى (هو) حلماً هنيئاً تبسمت وأنا غارقٌ فى منامى ، أجد اللذة الكبرى فى رفاهيته وراحته ، وآلم لشقائه أكثر مما آلم لشقائى ، وأريد أن أمنحه صحتى وحياتى وكل ما أملك ؛ أريد أن أفنى فيه ولا أجد فى شىء من ذلك عملاً كبيراً ، ولا أحس أنى مقدم على تضحية ، لأنه اندمج فى أعمق عاطفة من مواطنى ، ونزل إلى

أبعد غور من نفسى ، وسيطر على قواى كلها ، فلم يبق لى عاطفة مستقلة أو حاسة حرة أفكر بها فيه ، وأزن صلتى به . . .

* * *

اختلف نظرى الى الحياة ، وتبدلت المشاهد فى عينى ، فكأن الدنيا كانت فى ظلام ، حتى طلع فى سمائها بدراً منيراً فأصبحت أرى كل شىء جميلاً فى بصرى : هذا السطح المشرف على الفضاء الرحيب ، سطح دارنا فى «الأعظمية» ، وهذا النخيل الممتد الى غير ما نهاية ، وبغداد التى تلوح منائرها وقبابها كأنها معلقة فى السماء حيال الأفق ، ودجلة التى تبدو من خلال الأغصان لامعة كصفحة المرآة المجلوة تشق عبابها الزوارق ، تتمايل شُرُعها البيض مع نسيم المساء الناعش الخفيف ، والبدر الذى طلع من الشرق يبدو منه حاجب ويختفى حاجب وراء نقاب من الغيوم ... وهذا الطريق الذى لم تمتد اليه يد الحكومة بالتعبيد فبقى على فطرته وجماله لم تشوهه كفّ الانسان ، يظهر تارة ، ويلتوى تارات ، ويضيع بين النخيل ويضل الطريق ... والفلاحين الذين يرجعون إلى دورهم حين تعود الشمس الى خدرها ، ويزدحمون على هذا الطريق الشمرى الضيق ، هم ودوابهم ومواشيهم تطنطن الأجراس فى أعناقها والقطعان يسوقها الرعاة الذين تنكبوا عصيهم ثم ساروا وراءها يزمرون أو يغنون ، وهؤلاء الأطفال من تلاميذ المدارس الذين يلعبون فى هذه الرحبة ، يتقاذفون الكرة يتصايحون ويتراكضون ، فاذا أمسك أحدهم بها ضربها برجله فانطلقت تشق الفضاء كأنها القنبلة ، ووقف الصبية صامتين قد علقوا أنفاسهم وتبعتها عيونهم ، تبصر مسيرها ، فاذا هبطت واستقرت على الأرض عادوا يركضون ويصيحون

أصبحت أرى كل شىء جميلاً فى عينى حبيباً إلىّ : الفلاحين الآوين الى بيوتهم ، والأطفال العاكفين على كرتهم ، والدواب والمواشى ... وأسمع فى كل صوت أغنية عذبة ، أسمعها فى حفيف الأوراق ، وزقزقة العصافير ، ونباح الكلاب ، ودوى الرعد ... وأرى الجمال فى ظلام الليل الدامس ، كما أراه فى صفحة البدر المنير ، وأبصره فى الصحراء المقفرة ، كما أبصره فى الروضة المزهرة ، وأسمعه فى صفير الرياح المرعب ، كما أسمعه فى تغريد البلبل المطرب ، وألمسه فى الخريف كما ألمسه فى الربيع ؛ بل إنى لأعجب من هؤلاء النظامين المتشاعرين الذين يسميهم الناس شعراء ، كيف يعمون عن صفحة الكون ، ثم يذهبون فيحدّقون فى صفحات الكتب ، وينظرون فيها بالمجهر : هؤلاء المقلدين الذين يظنون أن الخريف معناه الوحشة أبداً والموت والكآبة ، وأن معنى الربيع الأنس دائماً والبهجة والسرور ، كأن العواطف البشرية تسير على التقويم الفلكى ، وتدور مع الأيام ... فليس على الشاعر إلا أن ينظر فى التقويم حتى يرى أيوم حزن هو ، أم يوم سرور ؟! وكأن فى وجه الأديب زجاجتى فوتوغراف لا تريان إلا ما فى الوجود ، لا عينى إنسان يحس ويشعر

أين إذن عاطفة الشاعر ؟ وهل يرى الشاعر الحزين اليائس ربيعاً مشرقاً جميلاً ؟ ألا يرى فى الربيع الوحشة والكآبة والحزن ؟ وهل يشعر المسلول القانط بجمال الزهر ؟ والشاعر الفرح ؟ ألا يرى فى الشتاء وفى الخريف جمالاً وبهجة ، ويبصر فيهما ورداً وزهراً ؟

إن فى شعر هؤلاء المتشاعرين المقلدين كل شىء إلا الحياة ، إلا العاطفة ، إلا الروح . هو شعر ميت ، تمثال حسناء ، ولكنه من الشمع !

* * *

لقد ظهر هذا الصديق فجأة فى طريقى ، فملك علىّ أمرى ، وأخذ بيدى فسلك بى طريقاً جديدة ، حتى نأى بى عن الناس فأصبحت لا أرى فى الدنيا غيره ، ولا أبصر سواه ، وصبّ فى نفسى عزيمة وقوة ، فأحسست بالنشاط فى جسمى وروحى ، ودفعنى إلى أداء الواجب على ، فوفّيته على وجهه ، وساقنى فى سبيل الاستقامة والشرف ، وسما بى عن (الأنانية) والاستئثار فأضحيت أشفق حتى على أعدائى المخاصمين ، وأعطف حتى على المجرمين والساقطين ؛ وفتح لى مغاليق هذا الكون ، فاذا وراء هذه المظاهر دنيا من الجمال والجلال والسحر والفتون ، وإذا حيال هذه الدنيا دنيا أكبر ، وأحفل بالكائنات ، هى فى نفسى ، فرأيت وأبصرت ونعمت وانتفعت ...

* * *

لقد دفعتنى هذه الصداقة إلى الصلة بربى ، والقيام بواجبى ، والتعلق بأهلى ، فلست أريد بعدها شيئاً ، فخذوا الدنيا كلها ، حسبى أنى أخذت منها صديقاً

(بغداد) على الطنطاوى

هكذا قال زرادشت

للفيلسوف الألماني فردريك نيتشه

ترجمة الأستاذ فليكس فارس

الجزء الأول

منهل زرادشت

— ١ —

لما بلغ زارا الثلاثين من عمره ، هجر وطنه وبحيرته وسار إلى الجبل حيث أقام عشر سنوات يتمتع بعزلته وتفكيره إلى أن تبدلت سريرته ، فنهض يوماً من رقاده مع انبثاق الفجر وانتصب أمام الشمس يناجيها قائلاً :

— لو لم يكن لشعاعك من يُنير ، أكان لك غبطة ، أيها الكوكب العظيم ؟ منذ عشر سنوات مابرحت تشرق على كهفي ، فلولاي ولولا نسري وأفعاي ، لكنت مللت أنوارك وسئمت ذرع هذا السبيل ، ولكننا كنا نترقب بزوغك كل صباح لنتمتع بفيضك ونرسل بركتنا إليك . أصغ إليّ ، لقد كرهت نفسي حكمتي كالنحلة أتخمها ما جمعت ، فمن لي بالأكف تنبسط أمامي لأهب وأغدق إلى أن يغتبط الحكماء من الناس بجنونهم ويسعد الفقراء منهم بثروتهم

تلك هي الأمنية التي تهيب بي للجنوح إلى الأعماق ، كما تجنح أنت كل مساء منحدراً وراء البحار حاملاً إشعاعك إلى الشقة السفلى من العالم ، أيها الكوكب الطافح بالكنوز

لقد وجب عليّ أن أتوارى أسوة بك ، وجب عليّ أن أرقد على حد تعبير الأناسيّ الذين أهفو إليهم

باركني ، إذن ، أيها الكوكب ، فأنت المقلة المطمئنة التي يسعها أن تشهد مالايحد من السعادة دون أن تختلج كمقلة الحاسدين

بارك الكأس الدهاق تسكب سلسبيلاً مذهّباً ينثر على الآفاق وهجاً من مسراتك .

أنظر ! إن هذه الكأس تريد أن تتدفق ثانية ، ويريد زارا أن يعود إنساناً

وهكذا بدأ جنوح زارا إلى المغيب

— ٢ —

وانحدر زارا من الجبال فما لقي أحداً حتى بلغ الغاب حيث انتصب أمامه شيخ خرج من كوخه بغتة ليفتش عن بعض الجذور والأعشاب ، فقال الشيخ :

— ليس هذا الرحالة غريباً عن ذاكرتي ، لقد اجتاز هذا المكان منذ عشر سنوات ، ولكنه اليوم غيره بالأمس

لقد كنتَ تحمل رمادك في ذلك الحين إلى الجبل ، يا زارا ، فهل أنت تحمل الآن نارك إلى الوادي ؟ أفما تحاذر يا هذا أن ينزل بك عقاب من يضرم النار ؟

لقد عرفت زارا ، هذه عينه الصافية ، وليس على شفتيه للاشمئزاز أثر ؛ أفما تراه يتقدم بخطوات الراقصين ؟

لقد تبدلت هيئة زارا ، إذ رجع بنفسه إلى طفولته . لقد استيقظت يا زارا فماذا أنت فاعل قرب النائمين

كنت تعيش في العزلة كمن يعوم في بحر والبحر يحمل أثقاله ، وأراك الآن تتجه إلى اليابسة ، أفتريد الاستغناء عمن حملك لتسحب هامتك على الأرض بنفسك ؟

فأجاب زارا : إنني أحب الناس

فقال الشيخ الحكيم : إنني ما طلبتُ العزلة واتجهتُ إلى الغاب إلا لاستغراقي في حبهم ؛ أما الآن فقد حولت حبي إلى الله ، وما الانسان في نظري إلا كائن ناقص ، فاذا ما أحببته قتلني حبه

فأجاب زارا : ومن يصف لك الحب الآن ! إنني لا أقصد الناس إلا لأنفحهم بالهدايا

فقال الحكيم القديس : إياك أن تعطيهم شيئاً ، والأجدر بك أن تأخذ منهم ما تساعدهم على حمله ، ذلك أجدى لهم على أن تغنم سهمك من هذا الخير ، وإذا كان لا بد لك من العطاء فلا تمنح الناس إلا صدقة على أن يتقدموا اليك مستجدين أولاً

فأجاب زارا : أنا لا أتصدق ، إذ لم أبلغ من الفقر ما يجيز لي أن أكون من المتصدقين

فضحك القديس مستهزئاً وقال : حاول جهدك إذن إقناعهم بقبول كنوزك ، إنهم يحاذرون المنعزلين عن العالم ، ولا يصدقون بأننا نأتيهم بالهبات ؛ إن لخطوات الناسك في الشارع وقعاً مستغرباً في آذان الناس . إنهم ليجفلون على

مراقدهم إذ يسمعونها فيتساءلون : إلى أين يزحف هذا اللص ؟!

لا تقترب من هؤلاء الناس . لا تبارح مقامك فى الغاب ، فالأجدر بك أن تعود إلى مراتع الحيوان ، أفلا رضيك أن تكون مثلى دباً بين الدببة وطيراً بين الأطيار ؟

فسأل زارا : وما هو عمل القديس فى هذا الغاب ؟

فأجاب القديس : إننى أنظم الأناشيد لأترنم بها ، فأرانى حمدت الله إذ أسرُّ نجواى فيها بين الضحك والبكاء ، لأننى بالانشاد والبكاء والضحك والمناجاة أسبح الله ربى ، ومع هذا ، فما هى الهدية التى تحملها الينا ؟

فانحنى زارا مسلما وقال للقديس : أى شىء أعطيك ؟ دعنى أذهب عنك مسرعا كيلا آخذ منك شيئاً

وهكذا افترقا وهما يضحكان كأنهما طفلان

وعندما انفرد زارا قال فى نفسه :

— إنه لأمر جد مستغرب ، ألما يسمع هذا الشيخ فى غابه أن الالـه قد مات(١)

— ٣ —

وإذ وصل زارا إلى المدينـة المجاورة ، وهى أقرب المدن إلى الغاب ، رأى الساحة مكتظة بخلق كثير أعلنوا من قبل أن بهلواناً سيقوم هنالك بالألعاب ، فوقف زارا فى الحشــد يخطبه قائلاً :

— إننى آت اليكم بنبأ الانسان المتفوق ، فما الانسان العادى إلا كائن يجب أن نفوقه ، فماذا أعددتم للتفوق عليه ؟

إن كلا من الكائنات أوجد من نفسه شيئاً يفوقه ، وأنتم تريدون أن تكونوا جزراً يصد الموجة الكبرى فى مدها ؛ بل إنكم تؤثرون التقهقر إلى حالة الحيوان بدل اندفاعكم للتفوق على الانسان . وهل القرد من الانسان إلا سخريته وعاره ؟ لقد انجهتم على طريق مبدؤها الدودة ومنتهاها الانسان ، غير أنكم أبقيتم على جل ما تتصف ديدان الأرض به . لقد كنتم من جنس القرود فيما مضى ؛ على أن الانسان لم يفتأ حتى اليوم أعرق من القرود فى قرديته

ليس أوفركم حكمة إلا كائن مشوش لا يمت بنسبه إلى أصل صريح ، فهو مزيج من النبات والأشباح ، وما أدعو الانسان ليتحول إلى شبح أو إلى نبات

لقد أتيتكم بنبأ الانسان المتفوق

إنه من الأرض كالمعنى من المبنى ، فلتتجه إرادتكم إلى جعل الانسان المتفوق معنى لهذه الأرض وروحاً لها

أتوسل اليكم ، أيها الأخوة بأن تحتفظوا للأرض باخلاصكم فلا تصدقوا من يمنونكم بآمال تتعالى فوقها ؛ إنهم يملأونكم بالمحال فيدسون لكم السم ، سواء أجهلوا أم عرفوا ما يعملون ، أولئك هم المزدرون للحياة ، لقد رعى السم أحشاءهم فهم يحتضرون ؛ لقد تعبت الأرض منهم فليقلعوا عنها

لقد كانت الروح تنظر فيما مضى إلى الجسد نظرة الاحتقار فلم يكن حينذاك من مجد يطاول عظمة هذا الاحتقار . لقد كانت الروح تتمنى الجسد ناحلاً قبيحاً جائعاً متوهمة أنها تتمكن بذلك من الانعتاق منه ومن الأرض التى يدبّ عليها . وما كانت تلك الروح إلا على مثال ما تشتهى لجسدها ناحلةً قبيحة جائعـة ، تتوهم أن أقصى لذّتها إنما يكمن فى قسوتها وإرغامها

أفليست روحكم ، أيها الأخوة ، مثل هذه الروح ؟ أفما تعلن لكم أجسادكم عنها أنها مسكنةٌ وقذارةٌ وأنها غرورٌ يسترعى الاشفاق ؟

والحق ما الانسان إلا غديرٌ دنس ، وليس إلا لمن أصبح محيطاً أن يقتبل انصباب مثل هذا الغدير فى عبابه دون أن يتدنس

تعلموا من هو الانسان المتفوق

إن هو إلا ذلك المحيط تُغرقون احتقاركم فى أغواره

وهل تتوقعون بلوغ معجزة أعظم من هذه المعجزة ؟

لقد آن للاحتقار أن يبلغ أشدّه فيكم ، بعـد أن استحال شرفكم ذاته كما استحالت عقولكم وفضائلكم إلى كره واشمئزاز

لقد آن لكم أن تقولوا : ما يهمنى شرفى ، وما هو إلا مسكنة وقذارة وغرور ، فى حين أن على الشرف أن يبرّر الحياة نفسها

لقـد آن لكم أن تقولوا : ما تهمنى القوى العاقلة فىَّ ، إذا لم تطلب الحكمة بجوع الأسد ، وما هى الآن إلا مسكنةٌ وقذارة وغرور

لقد آن لكم أن تقولوا : ما تهمنى فضيلتى فانها لمَّا تصل بى

---

(١) راجع المقدمة فى العدد الماضى من الرسالة

تاريخ العرب الأدبى

للأستاذ رينولد نيكلسون

المستشرق الإنجليزى

المدخل لتاريخ العرب

- ٣ -

هـ — من الفتح المغولى الى اليوم (من ١٢٥٨ —)

انتهى عصر الخلافة بسقوط بغداد عام ١٢٥٨ م فى يد المغول الرحّل الذين كانوا تحت زعامة هولاكو . وما كادوا يتقدّمون إلى الأمام حتى صدهم المماليك المصريون وردوهم على أعقابهم إلى فارس التى اعتنقوا فيها الاسلام بعد زهاء خمسين عاماً ، أما الخانات خلفاء هولاكو فقد حكموا فى فارس

ثم أغار على آسيا الغربيـة فريق من البرابرة بقيادة تيمور واندفعوا كالأتىّ المزبد ، ونشروا الفساد والفوضى فى ربوعها (١٣٨٠ — ١٤٠٥ م) وإذ ذاك تفككت رابطة الاسلام من الناحية السياسية . وفى هذه الفوضى الضاربة بأجرانها نشأت ثلاث أمبراطوريات اسلامية . ففى سـنة ١٣٥٨ عبر الأتراك العثمانيون البسفور ودخلوا القسطنطينية عام ١٤٥٣ ، حتى إذا كان عام ١٥١٧ دخلت فى حوزتهم سورية ومصر وبلاد العرب وأصبحت فارس مملكة مستقلة تحت حكم الصفويين (١٥٠٢ — ١٧٣٦) بينما أسس بابُر وهو من ولد تيمور — امبراطورية التتار العظمى والهند ، وظلت قوية الشوكة تحت خلفائه وخاصة أكبر وأورنجزيب (١٥٢٥ — ١٧٠٧)

أما الحوادث السياسية التى أجملناها آنفاً فسنعالجها بالتفصيل فى صلب هذا الكتاب ؛ على حين أن غيرها لن يكون نصيبه منا سوى الاشارة الموجزة والنظرة العابرة . ولما كانت الآراء التى انتشرت فى الأدب العربى شديدة الارتباط بتاريخ الناس ولا سبيل الى فهمها بعيداً عن الحوادث الخارجية التى نشأت فيها ، فقد وجدت نفسى مضطراً إلى الأسهاب فى بعض النواحى التاريخية حتى يتبين القارىء الحقائق المهمة من وجهة نظرنا الخاصة . كما سيرى أن ليس من إطناب فى الكلام عن العصور المتقدّمة السابقة (٥٠٠ — ٧٥٠ م) خاصة إذا علم أن هذه تمد محور التاريخ العربى ومركزه . وقد بلغت الحضارة الاسلامية أقصى شأوها خلال القرنين التاليين لهذا التاريخ وإن أخذ العرب يتراجعون إلى الوراء سريعاً . وقد طمس الهجوم التتارى — فى الغالب — معالم حياتهم الأهلية وإن ظلوا متمسكين فى سورية ومصر تحت الحكم التركى بأهداب ثقافتهم كما نراهم يستميتون فى الكفاح باسبانيا ضد النصرانية . وفى أيام ازدهار الدولة العباسية كان أثر العرب الخلص Pur sang فى الأدب الذى حمل اسمهم ضئيلاً قياسياً ؛ ولم ألتزم جادّة القياس الوطنى وإلا استثنيت جميع الأجانب والمولدين الذين كتبوا بالعربيــة . أما الفرس الذين ألفوا حتى يومنا هـذا استعمال الضاد فى كتاباتهم الدينيـة أو الفلسفية فيمكن القول بأن عملهم لا يصور تاريخ الفكر العربى ؛ ومن ثم كان من الضرورى دراستها معاً كى نصـل إلى الغاية المقصودة . ولـكن ما ذا يكون موقفنا إزاء هؤلاء المؤلفـين الـكثيرين الذائعى الصيت الذين ليسوا عرباً أقحاحا ولا فرساً خالصين ، بل هم مزيج من الجنسين . أترانا نسترجع أنسابهم ونحاول أن نزن أى دم الجنسين أرجح كفة ؟ إن مثل هذه المحاولة يطول أمدها ، وليس من ورائها جدوى . والمؤكد أنه بعد العصر الأموى لا يستطاع وضع حد فاصل صحيح بين العناصر الأهلية والأجنبية الموجودة فى الأدب العربى ، فقد امتزج كل منها

إلى الاستغراق ، وقد أتعبنى خيرى وشرى ، وما هما إلا مسكنةٌ وقذارةٌ وغرور

لقد آن لكم أن تقولوا : ما يهمنى عدلى ، إن العادل يقدح شرراً ولما أشتعل

لقد آن لكم أن تقولوا : ما تهمنى رحمتى ، أفليست الرحمةُ صليباً يُسمَّر عليه من يحب البشر . ورحمتى لما ترفعنى على الصليب

أقلتم مثل هذا وناديتم به ؟ ليتنى سمعتكم تهتفون بمثله !

إن ما يرفع عقيرته على السماء إن هو إلا غروركم لاخطاياكم ، إن هو إلا حرصكم حتى فى خطاياكم

أين هو اللهب الذى يمتد اليكم ليطهركم ؟ أين هو الجنون الذى يجب أن يستولى عليكم ؟

هاأنذا أنبئكم عن الانسان المتفوق

إن هو إلا ذلك اللهب وذلك الجنون

فليكس فارس

(يتبع)

بالآخر امتزاجاً قويا . وإذا كان لا بد من التمييز بينهما إلى أبعد حد مستطاع ، فلابد لنا من اتباع طريقة ضيقة واهية فى عرض التاريخ الأدبى إذا أصررنا على اعتبار كل منهما منفصلاً عن الآخر

الفصل الأول

سبأ وحمير

قد يمكن القول بأن تاريخ العرب يبدأ بما نعرفه عن أهل سبأ ، ولكن تخطوة تمهيدية ينبغى لنا أن نلمّ ببعض الأجناس التى تعرض علينا صورها فى الأساطير والقصص ، والتى يعتبرها المؤرخون المسلمون السكان الأصليين للبلاد . ومن بين هؤلاء قوم عاد وثمود ، أولئك الذين طالما ورد ذكرهم فى القرآن مثلاً للكبرياء والجبروت اللذين أديا بهم إلى التهلكة . وكان موطن « عاد » أرض حضرموت التى تتاخم بلاد اليمن على حدود الصحراء المساة بالأحقاف . ولا يستطاع الجزم أهم من الجنس السامى من سلالة الآراميين الذين أخضعهم وأبادهم الغزاة المغيرون على بلادهم من الشمال أم أنهم — كما يقرّر هومل [١] — ممثلو ثقافة غير سامية خلفت إرم ذات العماد[٢] ، تلك الجنة الأرضية التى بناها « شدّاد » أحد ملوكهم . وإن قصّة هلاكهم لتروى على النمط التالى[٣] : ذلك أنهم كانوا جبارين ضخام الأجسام ، يعبدون الأصنام ويقترفون شتى الموبقات ، فلما بعث الله فيهم نبيّه « هودا » نصح لهم أن يتوبوا عما اقترفوه من الآثام فقالوا له : (ياهود ما جئتنا ببينة وما نحن بتاركى آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين ، إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء[٤]) . ثم نزل قحط شديد بأرض عاد فأرسلوا بعض رءوسهم إلى مكة ليصلّوا عسى أن ينزل القطر ويستقوا ، وإذ بلغت رسلهم مكة لقيهم أمير العمالقة « معاوية بن بكر » بالبشر والترحاب ، ومدّ لهم الموائد ، فشربوا الخمر ودارت بالدفوف جاريتان ذواتا غناء شجى تسمّيان بالجرادتين ، فألهاهم ذلك عما جاءوا من أجله شهراً كاملاً ، فلما حان وقت أوبتهم قام أحدهم ليصلّى ، فلم يكد ينتهى من صلاته حتى حلّقت فى السماء ثلاث سحابات مختلفة الألوان

(١) Die Namen der Säugethiere bei den Südsemitischen Völkern , P. 343 seq

(٢) راجع تفسير الطبرى ج ١ ص ٢٣١ ، وما كتبه O. Loth فى Z. D. M. G. فى المجلد ٣٥ ص ٦٢٦ وما يليها

(٣) راجع تاريخ الطبرى ج ١ ص ٢٣١ والسور رقم ٧ ، ١١ ، ٢٦ ، ٤٦ من القرآن

(٤) سورة هود : ٥٢ ، ٥٤

إحداها حمراء والثانية بيضاء والثالثة دكناء ، ثم رنّ صوت من خلف السموات يقول « يا قيل : اختر لنفسك وقومك من هذا السحاب » فاختار الرسل السوداء ظناً منهم أنها تمجّ بالماء ، وأنها أكثر السحاب فيضا ، وحينذاك أنشد الصوت :

« خذها رماداً رمددا لا تدع من عاد أحدا
لا والداً تترك ولا ولدا إلا جعلته همدا »

ثم ساق الآله السحابة السوداء حتى حوّمت فوق أرض عاد فانبعثت منها إذ ذاك ريح صرصر عاتية أفنت الناس جميعاً إلا فئة [١] قليلة لبّت نداء هود وأجابته إلى دعوته ونبذت عبادة الأوثان . وإذ ذاك ظهر بطبيعة الحال وعلى ممر الزمن شعب آخر يدعى بقوم عاد الثانية وكان مقره اليمن فى مملكة سبأ ؛ وإن السد العظيم سدّ مأرب لينسب إلى ملكهم لقمان بن عاد الذى تحاك حوله طائفة من الخرافات ، وكان يكنى بذى النسور إذ أوحى إليه أنه سيعمر ويفنى سبعة أنسر كلما مات واحد خلا إلى آخر

وفى شمال بلاد العرب بين الحجاز وسورية سكن قوم ثمود الذين ورد ذكرهم فى القرآن [٢] بأنهم كانوا يسكنون مغارات نحتوها فى الجبال . ولا شك أن محمداً صلى الله عليه وسلم كان يجهل طبيعة هذه البيوت المنحوتة فى الصخور ، والتى لا تزال آثارها قائمة فى الحجر (مدائن صالح) على مسيرة أسبوع من شمال المدينة ، والتى تدل عليها النقوش النبطية [٣] التى عثر عليها فى القبور . وقد أخطأت ثمود كما أخطأت عاد من قبل . وتشابهت النهايتان ، فهزأت ثمود من نبيها صالح . وأبت أن تطيعه أو يأتى بمعجزة خارقة ، فأطلع لهم صالح من الصخر ناقة ضخمة وفصيلها ، وأمر ثمود ألا تمس بسوء ؛ بيد أن أحد الأئمة الأشرار واسمه « قُدار الأحمر » عقرها وذبحها (فأخذتهمُ الرَّجفةُ فأصبحُوا فى دارِهِمْ جاثِمين) وصارت [٤] العرب تقول لكل من باء بجرم كبير ، وحظ أغبر « أنكد حظاً من عاقر الناقة أو أحمر ثمود » وينبغى أن نشير إلى أن ديودور الصقلى وبطليموس

(١) هذه الفئة القليلة التى أشار اليها المؤلف هى بنو اللوذية الذين ذكرهم الطبرى فقال « ... إلا جعلته همداً ، إلا بنى اللوذية المهدى » (المترجم)

(٢) يشير المؤلف إلى قوله تعالى (واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم فى الأرض تتخذون من سهولها قصوراً وتنحتون من الجبال بيوتاً) (المترجم)

(٣) Doughty : Documents epigraphiques recueillis dans le nord de l'Arabie, P. 12 suiv

(٤) إشارة إلى قوله تعالى (قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم ، هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل فى أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب الله) (المترجم)

قد أشارا إلى وجود آل ثمود ، أما قوم عاد فلا نجد لهم أثراً يذكر في العصور التاريخية ، على حين أن ثمود قد عاشوا حتى القرن الخامس الميلادي ، وكان أباطرة الدولة البيزنطية يستخدمونهم كفرسان ثموديين Equites Thamudeni في جيوشهم

وبجانب عاد وثمود نرى العمالقة مدرجين بين أهل الفترة ، وقد جاء في علم الآثار العربية الاسلامية ما ينبئ عن وجود عدة أقوام سلفوا في عصر بعيد ، كالكنعانيين والفلسطينيين . وإنا لنسمع أن مقر العمالقة كان في تهامة مكة ، وفي بعض أنحاء أخرى من شبه الجزيرة . ويجب أن نشير أخيراً إلى قبيلتي طسم وجديس اللتين لم يدوّن عنهما شيء إلا حقيقة هلكهما ، والدواعي التي أدت إلى ذلك . وإن القصص الخرافية التي أشارت إليهما لا تخلو من لذة بالنسبة لوجودهم في المجتمع العربي القديم

***

أما تاريخ القحطانيين [1] — أو عرب الجنوب — قبل الاسلام فهو تاريخ شعبين : السبأي والحميري اللذين خلّفا زعماء الامبراطورية العربية الجنوبية التي امتدت من البحر الأحمر حتى الخليج الفارسي . وسبأ (أو شبا كما هي في العهد القديم) تستعمل خطأ إذا قُصِد بها كل بلاد اليمن Arabria Felix ، على حين لم تكن سوى إقليم منها وإن كانت بلا جدال أقوى شكيمة وأعظم أهمية من كل الممالك والأقاليم التي ورد ذكرها في كتابات الأغريق والرومان القدامى ؛ ومهما بولغ في عظمتها وثراها فمن المحقق أن سبأ هذه كانت ذات مركز تجاري ممتاز قبل ظهور المسيح بعدّة قرون [2] . « ولقد قامت السفن منذ زمن بعيد تمخر عباب المياه بين موانى بلاد العرب الشرقية وبين الهند محمّلة بالبضائع ، وكانت منتجات الأخيرة وخاصة الطيب والبخور والحيوانات النادرة (كالقردة والطواويس) تنقل إلى ساحل عمان ؛ ومنذ القرن العاشر قبل الميلاد كانت لهم دراية بالخليج الفارسي حيث كانوا ييممون شطر مصر يبيعون لفراعنتها وأمرائها بضائعهم ، وقد كانت صعوبة الملاحة في البحر الأحمر سبباً في تفضيل الطريق البري للتجارة بين اليمن وسورية ، وكانت القوافل تقوم من « شبوت » في حضرموت وتذهب إلى مأرب عاصمة سبأ ، ثم تتجه شمالاً إلى مكُرَبَة (مكة فيما بعد) وتظل في طريقها من بترا حتى غزة المطلة على البحر الأبيض المتوسط [1] »

وظل رخاء السبئيين قائماً حتى أخذت التجارة الهندية تهجر البر وتسلك عبر البحار على طول شواطىء حضرموت وخلال مضيق باب المندب ، وكانت نتيجة هذا التغير — الذي يظهر أنه حدث في القرن الأول للميلاد — أن أخذت قوتهم تتضعضع شيئاً فشيئاً ، كما أن جزءاً كبيراً من السكان اضطر للبحث عن مساكن جديدة في الشمال ، ومن ثم أقفرت مدنهم ونضبت العيون المائية ، وسنرى حالاً ، كيف بلورت القصة العربية نتيجة انحطاطهم الهائل في حقيقة واحدة تلك هي انفجار سد مأرب

وإن انحاء السبئيين قد أخلى الطريق لظهور جماعة من نفس الجنس يسمون بالحميريين أوكما يسميهم المؤلفون القدامى Homeritœ وتقع بلادهم بين سبأ والبحر ، وتحت حكم ملوكهم المعروفين بالتبابعة أصبحوا قوّة يرهب جانبها في الجنوب من بلاد العرب . وظل عظم نفوذهم — ولو ظاهرياً — على القبائل الشمالية حتى القرن الخامس بعد الميلاد حينما ثار الأخيرون تحت زعامة كليب ابن ربيعة ، وأزالوا قوة اليمن المسيطرة عليهم في واقعة تعرف بواقعة « خزازة » [2] ولم يفلح الحميريون كما أفلح السبئيون فان موقعهم البحري جعلهم عرضة للغارات كما كان جدب البلاد من السكان مضعفاً لقوتهم الحربية . وقد قام الأحباش — وأصلهم من مستعمري اليمن — بمحاولات عدة لتثبيت أقدامهم ، وكانوا يتخذون عادة حكاماً قد نفاهم أمراء وطنيون ، ومن أشهر الولاة الأحباش « ابرهة » الذي سنقص خبر مهاجمته الفاشلة لمكة في موضعها الخاص ، وانتهى الأمر بأن وقعت امبراطورية حمير أخيراً تحت حكم فارس ولم تقم لها قومة سياسية مدة قرن من الزمان قبل ظهور الاسلام

ترجمة حسن حبشي

(١) فيما يتعلق بالنقوش السبئية والعربية الجنوبية يمكن للقارىء أن يقرأ ما سيكتبه J. Tkatsch في مقالة « صنعاء » بدائرة معارف الاسلام ففيها معلومات قيمة ، ويشير الكاتب فيها إلى أهمية المكتشفات الخطية التي أماط اللثام عنها F. Glaser الذي جمع في خلال أربع رحلات (١٨٨٢ — ١٨٨٤) ما ينيف على ٢٠٠٠ مخطوط . راجع أيضاً :

P. Nielsen: Handbuch der Altaranbisehen Altertumskunde. Vol, I (Copenhagen and Paris 1927)

(١) إن أقدم وثيقة تاريخية يمكن الاشارة اليها وجدت مكتوبة بالخط المسماري الأشوري وتقرأ في تاريخ الملك سرجون ٧١٥ ق . م . « لقد استلمت جزية فرعون ملك مصر وشمسية ملكة بلاد العرب وأثمرة السبأي من الذهب والطيب والعبيد والخيل والابل » وأثمرة مرادفة ليثمعر وهو لفظ تسمى به كثير من ملوك سبأ

(١) A. Müller : Der Islam in morgen und Abendland, P. 24

(٢) ومع ذلك فان نلدكه يقول (في المعلقات الخمس Funr Mo'ollaqat ج ١ ص ٤٤) إن الأخبار التي تنبئ أن كليبا كان يقود فرسان ربيعة إلى نزال قوى اليمن المتجمعة ليست تاريخية مطلقا

الفصل في نبوة المتنبي

من شعره

للأستاذ عبد المتعال الصعيدي

— ٢ —

وتوجد قصيدتان تنسبان الى المتنبي في هذا العهد ، إحداهما قالها وهو بأرض نخلة ، وهي ديار بني كلب الذين يقال إنه تنبأ فيهم وهي هذه القصيدة :

كم قتيلٍ كما قُتِلْتُ شهيدِ ... ببياضِ الطُّلى ووَرد الخدودِ
وعيونِ المهَا ولا كعيونٍ ... فتكتْ بالمُتيَّمِ المعمود
دَرَّ دَرُّ الصِّبا أأيامَ تجرْ ... يرِ ذيولي بدار أثلة عودي
عمْرَكَ الله هل رأيتَ بدورا ... طلعتْ في براقع وعقود
رامياتٍ بأسهمٍ رِيشُها الهُدْ ... بُ تشق القلوبَ قبل الجلود
يترشَّفْنَ من فَمِي رشفات ... هُنَّ فيه أحلى من التوحيد
كلُّ خمصانةٍ أرقَّ من الخمـ ... ـر بقلبٍ أقسى من الجلمود
ذات فرعٍ كأنما ضرب العنـ ... ـبر فيـه بماء ورد وعود
حالكٍ كالغُدافِ جَثْلٍ دَجُوجِـ ... ـيٍّ أثيثٍ جَعْدٍ بلا تجعيد
تحمل المسْكَ عن غدائرها الرِّ ... يحُ وتفترُّ عن شتيتٍ برود
جمعتْ بين جسم أحمدَ والسُّقْـ ... ـم وبين الجفون والتسهيد
هذه مهجتي لديك لِحَيْني ... فانقصي من عذابها أو فزيدي
أهل ما بي من الضنا بطلٌ صِيـ ... ـد بتصفيف طُرَّةٍ وبجيد
كلُّ شيء من الدماء حرام ... شربهُ ما خلا دم المنقود
فاسقنيها فدًى لعينيك نفسي ... من غزال وطارفي وتليدي
شيبُ رأسي وذلتي ونحولي ... ودموعي على هواك شهودي
أيَّ يوم سررتني بوصالٍ ... لم تَرُعْني ثلاثةً بصدود
ما مُقامي بأرض نخلةَ إلا ... كمُقام المسيح بين اليهود
مفرشي صهوة الحصان ولكـ (م) ... ـن قميصي مسرودة من حديد
لأمةٌ فاضةٌ أضاةٌ دِلاصٌ ... أحكمت نسجها يدا داود
أين فضلي إذا قنعتُ من الدهـ ... ـر بعيش مُعجَّل التنكيد
ضاق صدري وطال في طلب الرِّزْ ... ق قيامي وقلَّ عنه قعودي
أبداً أقطع البـلاد ونجمي ... في نحوس وهمتي في سعُود
فلعلي مؤمِّلُ بعضَ ما أبـ ... ـلغ باللطف من عزيز حميد
لِسريٍّ لباسُهُ خشنُ القطـ ... ـن ومرْويُّ مرْوَ لِبس القرود
عش عزيزا أومت وأنت كريمٌ ... بين طعن القنا وخفق البنود
فرؤوسُ الرِّماح أذهبُ للغيـ ... ـظ وأشفى لغلِّ صدر الحقود
لا كما قد حييتَ غير حميـد ... وإذا متَّ متَّ غير فقيـد
فاطلب العِزَّ في لظىً وذر الذُّ ... لَّ ولو كان في جنان الخلود
يقتلُ العاجز الجبان وقد يعـ ... ـجز عن قطع بخنق المولود
ويُوَقى الفتى المخشُّ وقد خوَّ ... ض في ماء لبَّةِ الصنديد
لا بقومي شرفتُ بل شرفوا بي ... وبنفسي فخرتُ لا بجدودي
وبهم فخر كل من نطق الضا ... د وعوذُ الجاني وغوث الطريد
ان أكن معجباً فعُجبُ عجيب ... لم يجد فوق نفسه من مزيد
أنا تربُ الندى وربُّ القوافي ... وسمامُ العدى وغيظ الحسود
أنا في أمة تداركها الـلـ ... ـه غريبٌ كصالح في ثمود

ويجب قبل أن ننظر في هـذه القصيدة من جهة اتفاقها مع دعوى النبوة التي تنسب إلى المتنبي ، أن ننبه إلى أن النبوة لا تتفق مع صناعة الشعر ، لأن الشعر العربي إلى ذلك الوقت كان صناعة أوزان وكلام ؛ ووظيفة النبوة أسمى من أن تتقيد بقيود الشعر ، أو تعنى عنايته بزخرف اللفظ ، أو تعتمد اعتماده على الخيال ، وقد أشار إلى هذا قوله تعالى في سورة يس : (وما علمناه الشعر وما ينبغي له إن هو إلا ذكر وقرآن مبين —) كما يشير إلى ذلك وإلى بعد النبوة مما كان يلابس الشعر من اللهو والعبث قوله صلى الله عليه وسلم : لما نشأت بغضت إلى الأوثان ، وبغض إلى الشعر ، ولم أهم بشيء مما كانت الجاهلية تفعله إلا مرتين ، كل ذلك يحول الله بيني وبين ما أريد من ذلك ، ثم ما هممت بسوء بعدهما حتى أكرمني الله برسالته . قلت ليلة لغلام كان يرعى معي لو أبصرت لي غنمي حتى أدخل مكة فأسمر كما يسمر الشباب ، فخرجت لذلك حتى جئت أول دار من مكة أسمع عزفاً بالدفوف والمزامير لعرس بعضهم ، فجلست لذلك فضرب الله على أذني فنمت ، فما أيقظني الا مس الشمس ، ولم أقض شيئاً .
عراني مرة أخرى مثل ذلك

وهذا كله لم يكن المتنبي ليجهله ، وما كان له أن يقدم على دعوى النبوة معه . ولعل الذين نسبوا اليه هذه الدعوى قد شعروا بشيء من هذا حينما جعلوا له قرآنا يعارض به القرآن الكريم ، لأنهم رأوا أن الشعر وحده لا يصح أن يستقل بأمر النبوة ، أو لا يلتئم معها . ومن ذلك الذى نسبوه اليه وذكروا أنه زعم أنه قرآن أنزل عليه : والنجم السيار ، والفلك الدوار ، والليل والنهار ، إن الكافر لفي أخطار ، امض على سنتك ، واقف أثر من كان قبلك من المرسلين ، فان الله قامع بك زيغ من ألحد فى الدين ، وضل عن السبيل

وكم يكون الشعر أبعد من وظيفة النبوة إذا كان صاحبه يتكسب به كصاحبنا المتنبي ، فانه نشأ شاعراً مداحا يتكسب بشعره ، ويسأل به ، ومن هذا قصيدته فى مدح محمد بن عبيد الله العلوى ، ومطلعها :

أهلاً بدارٍ سباكَ أغيدُها ... أبعدُ ما بان عنكَ خردُها

وقد ذكر فيها أن ناقته حملته إلى هذا الممدوح :

إلى فتًى يُصدر الرماحَ وقد ... أنهلها فى القلوب مُوردُها

له أيادٍ إلىَّ سالفةٌ ... أعُدُّ منها ولا أُعدِّدُها

ثم طفق يمدحه إلى أن قال :

وكم وكم نعمة مُجلِّلةٍ ... ربيتها كان منك مولدُها

وكم وكم حاجةٍ سمحت بها ... أقرب منى إلىَّ موعدُها

ومكرمات مشت على قدم الـ ... ـبر إلى منزلى تُردِّدُها

أقرَّ جلدى بها علىَّ فلا ... أقدرُ حتى المات أجحدُها

فعد بها لا عدمتُها أبداً ... خير صِلات الكريم أعودُها

وقد عذله أبو سعيد المجيمرى فى ذلك العهد على تركه لقاء الملوك وامتداحهم ، فقال له :

أبا سعيدٍ جنِّب العتابا ... فربَّ رأى أخطأ الصوابا

فانهم قد أكثروا الحجّابا ... واستوقفوا لردِّنا البوابا

وإن حدَّ الصارم القرضابا ... والذّابلات السُّمر والعرابا

ترفعُ فيما بيننا الحجابا

ولا شك أن طبقة الشعراء المتكسبين أدنى طبقات الشعراء نفوساً ، وأبعدها عن الصلاح والتقوى ، وهى طائفة تتخذ الشعر وسيلة لجمع المال ، ولا يهمها فى دنياه غيره ، ولا تطمح نفوسها الى وظيفة كوظيفة النبوة تكلفها من الكمال الروحى ما ليس فى طبيعتها

وإن هذه الحادثة لتدل على مقدار ما بلغ اليه المتنبي فى ذلك قال : أذكر وقد وردت فى صباى من الكوفة الى بغداد ، فأخذت بجانب منديلي خمسة دراهم ، وخرجت أمشى فى أسواق بغداد ، فمررت بصاحب دكان يبيع الفاكهة فاستحسنتها ونويت أن أشتريها بالدراهم التى معى ، فتقدمت اليه وقلت : بكم تبيع هذه الخمسة بطاطيخ ؟ فقال بغير اكتراث : إذهب فليس هذا من أكلك ، فتماسكت معه وقلت : يا هذا دع ما يغيظ واقصد الثمن ، فقال : ثمنها عشرة دراهم ، فلشدة ما جبهنى ما استطعت أن أخاطبه فى المساومة ، فوقفت حائراً ، ودفعت له خمسة دراهم فلم يقبل ، وإذا بشيخ من التجار قد خرج من الخان ذاهباً إلى داره ، فوثب إليه صاحب البطيخ من الدكان ودعا له وقال : يا مولاى بطيخ باكور ، باجازتك أحمله إلى البيت فقال الشيخ : ويحك بكم هذا ؟ قال بخمسة دراهم ، قال بل بدرهمين ، فباعه الخمسة بدرهمين وحملها إلى داره ، وعاد إلى دكانه مسروراً بما فعل ، فقلت له : يا هذا ما رأيت أعجب من جهلك ! استَمْتَ علىَّ فى هذا البطيخ ، وفعلت فعلتك التى فعلت ، وكنت أعطيتك فى ثمنه خمسة دراهم فبعته بدرهمين محمولاً ! فقال : أسكت . هذا يملك مائة ألف دينار ، قال المتنبي : فعلمت أن الناس لا يكرمون أحداً إكرامهم من يعتقدون أنه يملك مائة ألف دينار ، وأنا لا أزال على ما تراه حتى أسمع الناس يقولون إن أبا الطيب قد ملك مائة ألف دينار

(يتبع) عبد المتعال الصعيدى

ظهرت الطبعة الجديدة لكتاب

رفائيل

لشاعر الحب والجمال لامرتين

مترجمة بقلم

أحمد حسن الزيات

تطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر ومن إدارة « الرسالة »
والثمن ١٢ قرشاً

من ديوان البغضاء

عقوق ...

للأستاذ محمود محمد شاكر

ملْ بنا ، يا فؤادُ ! ننسى المودّا ت ، ونُلقِ إلى العداوة حَبَّا
وتعالىْ ! يا ربة الأرقش الخدّا ع ، وارعى ما بين جنبيَّ خصبا
وجناحيك ، فانشرى وأظلّى بُقعةً من مقابر الحب جربا
وامنعى نفثةَ الوفا واحجبيها رُبَّ ذكرى أحيتْ مواتاً أحبَّا
وانظرى نظرةَ العُقاب إذا أبـ صر صيداً ، فرامه فاشرأبّا
وانفضى الناسَ نفضةَ الأسد المجـ روح أشلاء صيده والأربا
وتعالىْ ! أنا الصديق ، ويا أعـ جب من يجعل العداوة صحبا !
ولئن كان ما رعيت من الأضـ لاع جدباً ، فلن أسومكِ جدبا
واعلمى أننى تركتُ وفاءَ الـ حُب زُهداً ، ورمتُ فيكِ الحبا

***

هذه كفُّ خائضٍ غمراتِ الـ حب أبلى فيها بلاءً صعبا
مستميتاً قد غالب الموت والحـ ب ونال الحياة كسباً وغصبا
تيك أنثى ! ودونها الأبدُ الطّـاوى إذا ساور الفريسةَ وثْبا
يا لعينيك ... شبتاً فى دمى النا رَ شُواظا ، يعبُّ فى الدم عبَّا
و بنانٍ أقسى من القِدِّ فى النفـ سِ ، وإن خلتَه بناناً رطبا

***

آهِ من غفلة ... إذا خطرت لى ملأتْنى غيظاً وحِقداً وحربا
قد رمتنى فى جاحمٍ يتلظّى فاذا مات أرّثْتــه فشبَّا
أوَفاءٌ ... لغادرٍ يتسلى بعذابى أتبَّا ـ لذا الحب ـ تبَّا
المُحبّات تقتُـلُ القلب قتلاً والعداوات تُردف القلب قلبا
فتعالى ! يكن كمكرِكِ مكرى وأكن فى الحروب روعاً ورُعبا
لا تولىْ ، وتتركينى وحيداً ؛ لست أبغى بغير قُربك قربا
وانفثى فىَّ نفثةَ السِّحر حتى أقهر الناسَ والأسودَ الغُلبا
فألدُّ الأعداء من علّمتْهُ محَنُ الحب أن يعُق الحُبَّا...

محمود محمد شاكر

الشاعر وسريره

للشاعر الحضرمى على أحمد باكثير

— ٣ —

تهللٌ يعـــلو محياكا وبسمةٌ لائمة فاكا !
وفرحة خجلى عروسية تطلقها كالفجر عيناكا
وأى عطر منعش ، مؤسف هـذا الذى يحمل رُدناكا
قل ياسريرى ، أى شىء جرى أنساك شكواى وشكواكا ؟
أتاركى أنت بلا رحمة قد عوّدتنيها سجاياكا ؟

***

أشامتٌ بى أنت فى محنتى ؟ معاذ إخلاصك لى فى هواىْ
بالله حـدثنى عما جرى لعل فيـه ما يسرّى أساى
ها هوذا يهمس — رؤيا محت بلواه ؛ ويلى ! أين ضلت رؤاى؟
جاءته طيفاً فى الكرى ماسحاً شكواه ؛ ويلى ! أين ولى كراى؟
رأى ، وعى ، لامس — يا ليته يداى ، أو أذناى أو مقلتاى !

***

رق سريرى لى ، ورقت له حسناء مما قلتـه فيه !
مرّت بيمناها على صـدره فانتعشت بيض أمانيـه !
لكن قلبى الحى ... قلبى الذى يستنزف الرحمة داميه !
قلبى الذى يصرخ فى سره من ألم مرّ يقاسيه
لم يُلف قلباً من بنى آدم ... يحنو عليـه أو يسليه !

***

إهنأ سريرى بالذى ناله جدُّك إذ أخطأنى الجدُّ
لست بغيرانٍ ولا حاسدٍ يمنعنى — أن أحسد — الودُّ
ولى نصيبى بعـد فى كل ما حلّتك من أطيافها « هند »
لكن كفّاً أنت قبّلتها أشتاق أن ألثمها بعد !
لعل أن يُطعمنى بعـدها : الثغر والعينان والخد !

***

ويلى عليها .. ! لكأنى بها مقبـلة نحوك فى لطف

حاملة في ثغرها بسمة حائرة تبـدو وتستخفي
كعائش [1] في جنةٍ وحده ... نازعه شوق إلى إلفِ ! !
ياليت شعري : أنت مقصودها أم ربك البائس — بالعطف ؟
فابنـة حوّاء متى أظهرت فربُّها يعـلم ما تخفي !

علي أحمد باكثير

(١) قوله كعائش في جنة الخ . هذه الجملة تابعة لقوله بسمة

على النيــل

بقلم العوضي الوكيل

وقفت على النيل الوديع عشية أطالع في أمواجـه ما أُطالِعُ
وأسمع من أمواجه لحن فتنةٍ ومعنى يُغشّيني ، وذكرى تتابع
كأني اليها من قديم مُوَجَّهٌ وكلِّيَ إصغاء ، وكلي مسامع
كأني قبل الآن أسمعت مرة صداها ، له دفق وفيه تدافُعُ
وما ذاك إلا رمز ما أنا حالم به قبل أن تهتزّ مني الأضالع
وناجيت ماء النيـل في صمت راهب
بأسطورة الحب الذي لا يخادع
أيا نيل حـدثني فإني عالم ولـكن لساني شاسٌ أو ممانع
علمت وكم معنى يدور بخاطري
أضلته في نفسي فيافٍ قواطع
لكم مرت الأجيال عجلى مُخِبة عليك وإذ تبدو كأنك هاجع
وأنت الطهور الفرد في هذه الدنى وفي قُدسك الأسمى معان تطالع
عليك هدوء الهازئين ، وربما يلوح لذي نفس في الهدوء تواضع
أتلحظني هيمان في العيش سادراً قد انعدمت مني إليه الدوافع
وصرت أعيش اليوم للأهل وحدهم
فما أناني دنياي — ما عشت — طامع
أتلحظ دمعي وهو ينهلُّ مسبلا وأينُ شيء في هذي المدامع
أسير فلا أدري لأية غاية أسـير وتدعوني إليَّ المواجع
خاتمنا لندري العيش وهو يضلنا كمن بت تثنيه وبات يُقاطع

***

أيا نيلُ قُصَّ السرَّ إنك عالمٌ
به من شباب الـكون والـكون يافِع
وحدِّثْ عن المجهولِ واكشف دفينَه
فإنك نور في الأحاسيس ساطعُ
وبُلَّ بنفسي غُلّةً بعـد غُلّةٍ ولا تنس أني عابد لك خاشع
تمل فؤادي في غلاف من الشجي
وفيـه جراحات ، وفيـه مصادع

***

أيا شاهد الأدهار مرّت بناسها كمسبحة مرت عليها الأصابع
فأفنيَ منها الناس ؛ والزمن الذي حواهم تبقى لم تَضِرْهُ الفواجع
كمسبحة يُستلُّ معدود حبِّها ويبقى بها الخيط الذي هو جامع

العوضي الوكيل

صدرت الطبعة السادسة من كتاب :

تاريخ الأدب العربي

في جميع عصوره

بقلم الأستاذ أحمد حسن الزيات

وهذه الطبعة تقع في زهاء خمسمائة صفحة من القطع المتوسـط ، وتكاد — لما طرأ عليها من الزيادة والتنقيح — تكون مؤلفاً جديداً

الثمن ٢٠ قرشا عدا أجرة البريد

القصص

من صور الحياة

قصة مجرم

للآنسة نعيمة المغربي

انعقدت محكمة الجنايات للنظر فى قضايا مختلفة ومنها جناية قتل اتهم فيها فتى طيب الأحدوثه لم يسبق له الاجرام . وظهر من التحقيق أن الجناية لم تقع بقصد السرقة ، إذ أن خاتم القتيل الماسى وساعته الذهبية — وهو كهل غنى — وأشياء أخر ذات قيمة لم يمسها القاتل ، مع أن المجال كان فسيحاً أمامه لسرقتها والاختفاء بها ، وإنما اكتفى القاتل بما فعل واللجوء إلى مسكنه الذى كان قريباً من محل الحادثة والذى كان يأوى إليه مع أمه المقعدة ، وقد قضت المسكينة نحبها حينما قبض الجند على ابنها من غلبة الخوف والرعب عليها

ذلك ملخص خبر الجناية التى شغلت أهل المدينة وخاصة سكان الحى الذى وقعت فيه الحادثة وكانت موضع سمرهم لا أسفاً على القتيل الذى عرف بعتوه وصلفه وشحه ، بل شفقة على القاتل الذى عرفوا فيه الفتى الحسن الخلق ، يكد ويشتغل لينفق على أمه البائسة التى لم يك لها من عائل سواه . لذلك كله امتازت هذه الجلسة بوفرة عدد المستمعين فيها ، وكلهم مشفقون على القاتل راثون له

ظهر فى قفص المتهمين شاب لا يتجاوز العشرين من عمره ، نحيل الجسم غائر العينين لا تظهر عليه علامة من تلك العلامات التى يمتاز بها المجرمون ، بل كان بادى الانكسار هادئ النظرات مستسلما لخواطر تجول فى رأسه وأحاديث تهجس فى نفسه . وبعد سماع شهادة الشهود ومرافعة النيابة ومحامى الدفاع سأله الرئيس الأسئلة المعتادة التى تلقى على المتهمين وطلب منه إذا كان عنده ما يدافع به عن نفسه . وهنا أرهف المستمعون آذانهم وتطاولوا بأعناقهم حتى لا تفوتهم كلمة من قصة ذلك المجرم البائس قال :

إننى إذا سردت قصتى فأننى لا أسردها بغية الدفاع عن نفسى أو حباً فى الحياة فقد سئمت العيش واستولت على النفرة من الناس ، بل لتعلموا أننى فرد من أفراد المجتمع البشرى قدر عليه أن يعيش عيشة ضنك وشقاء ويحيا حياة مليئة بضروب الألم والعذاب ، وكنت فى ربيعى الثانى عشر حينما فُتحت عيناى على صورة من صور الحياة المؤلمة التى تركتنى أرزح تحت كلكلها وأصبحت حياتى بعدها جافة قاسية خالية من المباهج التى تساعد المرء على اجتياز ما قد يتخلل طريقه من حصى وأشواك

مات أبى وأنا صغير ، ولم يترك لنا أنا وأمى من حطام الدنيا سوى أساس عتيق بال فى مسكن صغير تداعت أركانه ، وتشققت سقوفه وجدرانه ، وكان ذلك المسكن لجار لنا غنى كنا نؤدى إليه أجرته من دون مطل أو تسويف . وكان أبى بنّاء يتناول فى يومه بضعة قروش يأتى بها إلينا وهو فرح مغتبط مع ما يحيط به من فاقة وبلاء . فيملأ البيت بهجة ورواء ، ويحوله إلى قصر من أوفر القصور سعادة وأعظمها هناء

وبالرغم من قدم العهد فانا أذكر ذلك اليوم الرهيب يوم أن عرفت أن ذلك الانسان الذى يستنزف قواه ليدفع عنا غائلة السغب والعرى قد أخرسه الموت ونام نومه الأبدى

ففى أمسية من أمسيات الشتاء الباردة ، وفى ليلة دجوجية الجناح غدافية الأديم ، كانت الريح صرصراً عاتية ، وكرات الجليد تتساقط على جوانب بيتنا المتداعى فيسمع لسقوطها صوت كأصوات الأرواح الهائمة . طرق الباب فدخل رجلان عاثلاننا فى الفاقة والبؤس يحملان جثة أبى مهشمة أو كتلة من لحم ودم . ولقد نسيت كيف مرت علينا تلك الليلة المشؤومة ، غير أننى أذكر أن جثمانه ظل مسجى طول اليوم التالى حتى شعر بذلك من لم

تخل قلوبهم من عناصر الرحمة والشفقة فأمدونا بقليل من المال جهزنا به فقيدنا وأودعناه مرقده الأخير . ومما زاد لوعتنا أن الطبيب الذى قام بفحص الجثة قرر أنه كان مريضاً بعلة القلب فلم يستطع احتمال العمل المجهد تحت حر الشمس فى أعلى البناء فأصابه دوار عرضه للسقوط والموت السريع . وكأن ذلك الأب الشفيق كان يخفى علته هذه عن أمى خشية قلقها أو محاولتها منعه من متابعة عمله المضنى ، وقد أصيبت تلك التاعسة على أثر هذه الصدمة التى بلينا بها بمرض عضال أقعدها عن مواصلة السعى لكسب القوت ودفع أجرة المسكن ، ومع هذا فقد كانت تتحمل الفقر والشقاء والمرض والاعياء بصبر واستسلام

لقد ألقت الأقدار بى من حيث لا أشعر فى بيداء هذه الحياة وضربتنى ضربة قاسية لا رفق فيها ولا هوادة ، وأرادتنى أحداث الزمان على أن أحمل حملاً أعجز عنه وأنا صبى صغير فتلاشت ابتسامتى واربدّ وجهى ، وعادت الحياة فى نظرى همّاً ناصباً . أمى مقعدة لا تستطيع حراكا وهى تحتاج إلى قوت ودواء ، وصاحب المسكن يطالبنا بأجرته فى نهاية كل شهر ، وعلينا أن نؤديها إليه صاغرين وإلا كان الشارع لنا مأوى ، وقد أشار علىّ بعضهم بايداع المريضة فى إحدى المستشفيات ، فقبلت ذلك على مضض ، ولكن إدارة المستشفى أبت قبولها بحجة أن مرضها عضال لا يرجى منه شفاء . على أننى مع ذلك لم أيأس ولم أحزن رغبة فى أن أظل بجانبها أخدمها وأروح عنها ما تجده من آلام محرقة تحاول جهد طاقتها أن تخفيها عنى فتتكلف لى الابتسام ، ابتسام المريضة الصبور المستسلمة . لقد ذاق أطفال قبلى مرارة اليتم ، وذاق الكثيرون مثلى مرارة الحرمان والعُدم ، ولكن آلامهم لم تك تشبه آلامى : إذ كانت آلامى آلام صبى فى أول مرحلة من مراحل حياته يرى تحت نظره أعز الناس لديه يدنو من الموت أو يدنو الموت منه بخطى سريعة فلا يستطيع التخفيف عنه أو إسعافه بجرعة دواء

أجل كنت أذرع البلدة وأجوس خلال شوارعها باحثاً بحث اليائس عن لقمة أتبلغ بها أو عن عمل يكفل العيش لى ولتلك المريضة المدنفة ، وكنت إذا حصلت على بضع دريهمات أضن بها على نفسى فأعود وأنا أطفر فرحاً فأشترى لها ما تحتاج إليه من غذاء ودواء وأوفر الباقى أجرة لمسكننا الحقير

وقد كنت أستطيع أن ألجأ إلى تلك الطريقة التى يلجأ إليها الكثيرون من أمثالى — أعنى السرقة — وكانت أحياناً تتجسم هذه الفكرة فى مخيلتى حينما أصاب بتلك الآفة الغشوم — آفة الجوع — ولكننى لا ألبث أن أرجع عن هذا العزم إذ أربأ بنفسى أن تنحط إلى هذه المنزلة مفضلاً كل شقاء على الوقوع فى هذا المنحدر الرهيب

وكنت أعرف أيضاً أن هناك سبيلاً أفضل من هذا كله أقصر مدى وأقل تعباً وجهداً . سبيلاً ينتهى بى إلى تخفيف متاعبى وآلامى وينقطع به همومى وأحزانى . فقد كان فى استطاعتى أن أقصر ساعات عذابى بالانتحار ، ولكن ذكرى المريضة المقعدة كانت تبعد عنى هذا الخاطر ، وتجعلنى أبتسم لليأس المميت فى ظل الحياة التعيسة التى أحياها

سدت فى وجهى أبواب الرزق ، وأمى تزداد مرضاً على مرض فلجأت إلى بيع أثاثنا البالى ، فبدأت بالفراش الذى أنام عليه والكرسى الذى أجلس فوقه وجميع الأمتعة الحقيرة التى يضمها مسكننا ، فنفد ذلك كله وهو مبلغ تافه لا تأثير له فى دفع الشقاء . ومما زاد فى بليتنا أن صاحب المسكن أخذ يطالبنا بتأدية ما تأخر له عندنا من الأجرة التى لا نملك منها شيئاً ، وأمهلنا بذلك ثلاثة أيام وإلا طردنا دون شفقة أو رحمة

طوفت فى هذه الأيام الثلاثة فى الشوارع ضاوياً متعباً مريض النفس والجسم والفكر ، صفر الكف ، فلم يفتح على بشىء حتى أعيانى التجوال ، وأرهقنى اليأس ، فرجعت إلى البيت أبكى بدموع غزار

انقضت المهلة المعينة لتنفيذ وعيد ذلك الظالم ، ولم يبق منها سوى ليلة واحدة لم يغمض لى فيها جفن ولم يرقأ لى دمع . وشعرت آنئذ بجميع ضروب اليأس ، وذقت من الألم أشكالا ، ثم اعترانى بحران عميق ، أصبحت فيه أشبه بالصنم . وعند ما انبلج الصبح ولاح لى وجه ذكاء بدا وجه أمى النحيل الشاحب ، وهى تتنفس تنفسا خافتا ، فانبثق فى لبى خاطر استجبت له : هو لقاء صاحب المسكن واستعطافه على أجد بذلك من الضيق مخرجا . فنهضت متثاقلاً ، وأنا ضائع الفكر مضطرب البال ، أقرب إلى اليأس من ذلك الغريق الذى يرتجف وسط الخضم وقد تعلق بأوهى الأسباب أملاً فى النجاة .

البريد الأدبي

كتاب عن تاريخ الحبشة وبلاد العرب

أصدرت الجمعية الجغرافية الملكية مجلداً جديداً من كتاب « البحر الأحمر والحبشة وبلاد العرب منذ العصر الغابر » Le Mer Rouge L'Abyssinie et L'Arabie depuis L'Antiquité بقلم المسيو « كامرر » ؛ وفى هذا المجلد الجديد مباحث شائقة عن « حرب الفلفل » وعن اكتشافات البرتغاليين البحرية فى القرنين الخامس عشر والسادس عشر ؛ ومن المعروف أن هذه الاكتشافات كانت ذات أثر فعال فى تطور مركز مصر التجارى ؛ لأنها لبثت عصوراً طريق الهند ، ولبثت ثغورها مهبط هذه التجارة ، فلما اكتشف البرتغاليون طريق الهند تحول قسم عظيم من تجارة الغرب إلى هذه الطريق الجديدة ، وهجرت الطريق القديمة التى كانت تمر بمصر أو الشأم ، ودخل البحارة البرتغاليون الميدان وأنشأوا مراكز تجارية وحربيــة فى موزنبيق وقاليقوط وجوا ومسقط وغيرها ، وغزوا جزائر الهند الشرقية ووصلوا إلى شواطىء الصين ؛ وانتبه سلاطين مصر لهذا الخطر المحدق بموارد بلادهم فتحالفوا مع البندقية على محاربة هذا الخطر لأنه يمس تجارتها أيضاً ؛ ولبثت مصر مدى حين قابضة على مفتاح البحر الأحمر ، ولكن البرتغاليين قبضوا على طريق الهنــد ، ورأوا من جهــة أخرى أن يغزوا البحر الأحمر فتحالفوا مع الحبشة ، وكانت تخشى مصر ؛ وأرسلت بعثة برتغالية إلى بلاط النجاشى ؛ ولكن الحبشة لبثت حذرة من أولئك الأصدقاء الجدد ومن نياتهم

واستمرت المعركة مدى حين على سيادة البحر الأحمر والمحيط الهندى ، وفى المشرق للاستئثار بنعم السيادة التجارية ، ولعبت

وعند ما وصلت قصر صاحب الدار تجلدت وطرقت الباب ففتح لى خادم كنت أجد عنده بعض العطف ، فسهل لى لقاء سيده فدخلت عليه وأنا أرتجف كريشة فى مهب الريح

تذللت بين يديه واستعطفته وشرحت له ما أقاسيه من بؤس وهم ، واستلهمته ربما تقضى تلك البائســة فهى على أبواب الأبدية ، وكنت أحدثه وهو صامت ساكن لا تطرف عينه ولا يرفع نظره إلىّ ، حتى إذا فرغت من شكواى صرخ فى وجهى صرخة جافة قاسية ملؤها العنف والقسوة وختمها بأبشع الشتائم وأقبح النعوت

يصبر عزيز النفس على الموت والخطر والعذاب والجوع ، ولكنه لا يصبر على الأهانة والطرد . يهون على أبى النفس كبيرها أن يرمى فى أتون ملتهب يشوى جسمه شيأ دون أن تلقى عليه نظرة ازدراء أو كلمة اشمئزاز . ومع هذا لم أحرك ساكناً بادئ ذى بدء بل تصاممت عن سماع كلماته المرة عسى أن تهدأ ثورة غضبه ويثوب الى رشده ويرفق بى . ولكنه أعاد الكرة وأمعن فى طردى وتحقيرى بلهجة تفوق الأولى عظما وهولا ، فكانت كلماته هذه كسهم أصاب مركز الصبر من فؤادى فمزقه ، فأحسست أن الدم يتصاعــد الى رأسى ، وأن الأرض تدور بى ، ولاح لى طيف أمى وهو ملقى فى العراء . فلم أشعر إلا وأنا ممسك بخناقه أضغط عليه بين يدى حتى سقط جثة هامدة

يقولون عنى إننى مجرم خطر ، وإنى أستحق الموت عبرة لأمثالى ، وما أنا إلا انسان حكمت عليه الظروف القاسية بأقسى أحكامها ، وأراد له أخوه الانسان أن يصبح مجرماً بعد ما تعب واجتهد اجتهاد الأبى ليعيش عيشة الكفاف فلم ير قلباً يعطف عليه وينتشله مما هو فيه

هذه قصتى المكتومة أعلنتها . وأحزانى الحبيسة أطلقتها ، فلتحكم علىّ محكمتكم الموقرة بما يمليه ضميرها ويرضاه عدلها

وأخيراً خلت المحكمة للمداولة ، فأجلت البتّ فى هــذه القضية إلى أسبوع آخر

نعيمة المغربى

منتجات المشرق مثل الفلفل والبهار دوراً فى هذه المعركة ؛ وتخللتها معارك وأحداث بحرية عظيمــة ما زالت مضرب الأمثال فى الروعة والشجاعة

ولـكتاب مسيو كامرر مزية أخرى ، هى أنه يتتبع تاريخ الآراء والتطورات الجغرافيــة فى كتابه خلال هذه العصور ؛ وهذه التطورات مشروحة بالخرائط والوثائق الوافية ، وفيهــا خرائط قديمة كانت سرية لم تعرف فى عصرها ، لأن الخرائط التى كانت توضع عن الطرق البحرية فى ذلك العصر ، كانت كالخرائط الحربية يحرص أصحابها على سرها

وقد زين الـكتاب فوق ذلك بعشرات من الصور التاريخية الهامة

الكاتب الألمانى رودلف شتراتس

نعت إلينا أنباء ألمــانيا الأخيرة الـكاتب القصصى الألمانى الـكبير رودلف شتراتس R. stratz ؛ توفى فى الثالثــة والسبعين من عمره فى ضيعته فى « كيم زى » على مقربة من ميونيخ ؛ وبوفاته اختفى كاتب من أخصب وأعظم الـكتاب الألمان فى عصر الامبراطورية ، وكان شتراتس مدى الحرب ومن بعدها أيضاً فى طليعة الـكتاب الذين يدهشون الجمهور بوفرة إنتاجهم وبراعة ابتكارهم ؛ وقد نشأ شتراتس ضابطاً ، وقضى أعواماً عديدة فى خدمة الجيش ، وكتب أولى قصصه عن حياة الجندية ، وشرح فيها حالة الضباط وأحوال معيشتهم . وكان يدعو دائما إلى ابتعاد الجيش عن الأحزاب والسياسة ؛ وكان شتراتس يتمتع بمواهب القصصى البارع ، ووفرة فى الخيال ، وهو يصف لنا فى رواياته مدينــة برلين وحياتها قبل الحرب وصفاً بديعاً مدهشاً ، وكان يختار دائما لأبطال قصصه النبلاء وكبار الأغنياء فيصف حياتهم وأحوالهم بدقة مدهشة ، ولم يتخذ قط من بين الطبقات الدنيا أبطالا لقصصه ، ولم يعن بمعالجة المسائل الاجتماعية ولا يتوخى الغايات الاجتماعية ، وإنما كان يكتب قصصاً شائقاً مشجياً ، ؤثراً فحسب ؛ ولـكن ذلك لم يمنع من انتشار كتبه انتشاراً هائلاً حتى إن بعضها طبع مائة مرة . ومن أشهر كتاباته بعد الحرب قصص يصف فيها حالة برلين أيام التضخم النقدى ؛ وقد ساح شتراتس كثيراً ، وظهر أثر سياحاته فى كتبه ؛ ولـكنه كان دائما فى أعماق نفسه « وطنياً » ألمانياً ، يتجه بالوصف إلى إذكاء الوطنية الألمــانية ؛ وأشهر رواياته على الاطلاق هى رواية « هيدلبرج القديمــة » Alt Heidelberg ؛ ومن رواياته الشهيرة الأخرى : « مكان فى الشمس » Platz ander Sonne « المعجزة الألمــانية » Das Deulsch Wunder «سفينة بلادفة» Das Schlff ohne Steuer « لو كان العالم مليئاً بالعفاريت ween die Well von Teufel wàre وغيرها وقد بلغت كتبه زهاء ثلثمائة مجلد

لجنة تفسير معانى القرآن الكريم

أصدرت مشيخة الأزهر قراراً بتأليف لجنة لتفسير القرآن الـكريم توطئة لترجمته من حضرات أصحاب الفضيلة الأساتذة :

الشيخ عبد المجيد سليم مفتى الديار المصرية رئيساً ، والأستاذ محمد أحمد جاد المولى بك مفتش أول اللغة العربية بوزارة المعارف ، والأستاذ على الجارم مفتش أول اللغة العربية بوزارة المعارف ، والشيخ مصطفى عبد الرازق والأسـتاذ أحمد أمين من الجامعة المصرية ، والشيخ ابراهيم حمروش شيخ كلية اللغة العربية ، والشيخ أمين الخولى من الجامعة المصرية ، والشيخ على سرور الزنـكلونى من كلية أصول الدين ، والشيخ ابراهيم الجبالى من كلية أصول الدين ، والشيخ محمود الغمراوى من كلية اللغة العربية ، والشيخ محمود شلتوت من كلية الشريعة ، والشيخ محمد أحمد العدوى من كلية أصول الدين أعضاء

استكشاف جبال هملايا

استطاعت البعثة الألمــانية التى أوفدت لتسلق جبال هملايا الهندية أن تصل الى أكمة سمفو الواقعة فى شرق كانشن جونجا على ارتفاع أكثر من ٢٣ ألف قدم ، وهى أول مرة يستطيع الانسان أن يصعد اليها ، والبعثة المذكورة مكونة من الدكتور باور البافارى وهو من الاخصائيين فى صعود الجبال ، والهر ڤين والهر هاب ، والهر جتنر ؛ وقد وصلت البعثة الى قلب أراضى نبال منــذ أشهر ؛ ووصلت منطقة زمعو الثلجية فى سبتمبر ، ثم انقسمت الى فريقين ؛ فسار الهر ڤين مع بعض الحمالين الى وادى تالونج ، ونفد منه الطعام بعد أيام ، وقضوا نحو يومين بلا طعام قبل أن يصلوا الى المساكن ؛ وكان تقدمهم بطيئاً حتى كانوا

يقطعون فى هذه الهضاب ميلاً واحداً فقط فى اليوم ، ثم تلاقى الفريقان بعد ذلك وسارت البعثة كلها الى سنجيك ، وصعدت الى قمة سيمقو

وقد اقتنعت الفرقة أن طريق سيمقو هو أفضل الطرق للصعود الى الآكام العالية التى لم يتوصل المكتشفون بعد الى ارتيادها ؛ ويزمعون العودة الى الهند فى العام القادم ، وقد سبق أن استطاع الدكتور باور مع بعض زملائه الصعود الى ما دون ثلاثة آلاف قدم من هذه الأكمة الشهيرة ، ولكنه رد بعاصفة من الثلج ، فعاود الكرة فى هذا العام ونجح فى محاولته

وثيقة مصرية قديمة

اكتشفت أخيراً فى إحدى قرى الفيوم المسماة ارسيم أو مدينة التماسيح وثيقة غريبة تدل على أن العقود الخاصة بأعمال الصبيان موجودة من أقدم العصور ؛ وقد استطاع الأستاذ فولزن العلامة الدانمركى أن يقف على محتويات هذه الوثيقة فاذا فيها ما يأتى :

« يشهد تريفون بأن ولده القاصر تيونيس قد عين صبياً لمدة سنة من تاريخه عند تولوماتوس النساج »

وسوف يتعلم الصبى طول مدة العقد من أستاذه كل أصول حرفة النسج ، ويتقاضى فوق ذلك كل شهر خمسة دراهم مقابل الكسوة ، وفى آخر العام يتقاضى ١٢ درهما

وفى مقابل ذلك يدفع والد تيونيس إلى الحكومة ضريبة الأحداث عن ولده ، ويجب عليه أن يدفع عن كل يوم يتغيب فيه الغلام درهما بصفة غرامة ، وفى حالة فسخ العهد يجب عليه أن يدفع مائة لخزينة الدولة ؛ وإذا لم يقم المعلم تولوماتوس بتعليم الغلام كما يجب ، فانه يدفع مثل هذا القدر للخزينة

جواهر الطيب المفردة ليوحنا بن ماسويه

احتفل المجمع العلمى المصرى بافتتاح جلساته لعامى ١٩٣٦ و١٩٣٧ فألقى القس بولس سباط محاضرة عن كتاب « جواهر الطيب المفردة » ليوحنا بن ماسويه العالم النصرانى الكبير ، والطبيب الشهير الذى عاش فى القرن التاسع ، وكان رئيس دار الحكمة التى أنشأها الخليفة المأمون ببغداد سنة ٨٣٠

وفى هذا الكتاب النفيس وصف ابن ماسويه جواهر الطيب المفردة وذكر أسماءها ومعادنها وأنواعها وخواصها وفوائدها بالنظر إلى الطب والعطارة وقسمها قسمين : الأصول ، والأفاويه ، وقال : إن الأصول خمسة : المسك والعنبر والعود والكافور والزعفران ، وأن الأفاويه أربعة وعشرون : السنبل والقرنفل والصندل والجوزبوا والبسباس والورد والفلنجة والزرنب والقرفة والهرنوة والقاقلة والكبابة والهال بوا وحب الميسم والفاغرة والمحلب والورس والقسط والأظفار والبنك والضرو واللاذن والميعة والقنبيل

ولهذا الكتاب مخطوطان : أحدهما محفوظ فى دار الكتب بمدينة ليبسيك بألمانيا ، والآخر عثر عليه القس بولس سباط فى مدينة حلب سنة ١٩٣٣ نسخة الأرخيد ياكون يوحنا بن عبد المسيح الانطاكى بمدينة حلب سنة ١٥٦٣

وقد اهتم القس بولس سباط بتنقيح هذا السفر الجليل والتعليق عليه ، وإضافة فهارس علمية له وسينشره المجمع العلمى المصرى فى مجلته لهذا العام

الحركة الفكرية العنصرية فى ألمانيا

تمضى ألمانيا الجديدة فى سياستها العنصرية إلى النهاية ؛ وآخر ما قررته فى هذا السبيل القضاء على الآثار والمؤلفات الفقهية اليهودية . ومن المعروف أن أعظم الآثار القانونية الألمانية كتبها اليهود الألمان ولا زالت إلى اليوم مرجع البحث فى ألمانيا ، ولكن الدكتور فرنك رئيس الجمعية القانونية الألمانية أصدر أمره إلى جميع المكاتب العامة ودور البحث أن تستبعد جميع المؤلفات اليهودية فى القوانين الألمانية ، كما أصدر أمره إلى جميع الناشرين بألا يعيدوا طبع شىء من هذه المؤلفات أسوة بالامتناع عن نشر المؤلفات الجديدة التى يضعها اليهود ، وبذلك لا يمضى طويل حتى تختفى هذه الآثار اليهودية من الأدب القانونى الألمانى

ويرى الدكتور فرنك أنه يجب على العنصر الألمانى أن يبدأ عصراً جديداً فى التأليف القانونى ، وأن الذهن الآرى يجب عليه أن يعرب عن عبقريته ونقائه فى هذه المؤلفات

الكتب

موسى بن ميمون

حياته ومصنفاته

تأليف الدكتور اسرائيل ولفنسون

بقلم الدكتور ابراهيم بيومى مدكور

هنالك كتب تقرأ لموضوعها وأخرى لأصحابها ؛ وكأن منظمى المكتبات العامة أدركوا هذا المعنى تماماً فأعدوا طائفتين متميزتين من الفهارس : إحداهما للمادة والأخرى للمؤلفين ؛ والكتاب الذى نحن بصدده يجذب القراء بموضوعه وبما يبذله مؤلفه من وسائل فى سبيل نشره . فهو يدرس أولاً أعظم شخصية بين مفكرى اليهود فى القرون الوسطى ، ومن ذا الذى لا يرغب فى أن يعرف شيئاً عن ابن ميمون بعد ذلك الحفل العظيم الذى أقيم فى العام الماضى تخليداً لذكراه المئوية الثامنة ؟ وأعتقد أن هذا الحفل نجح نجاحاً كبيراً ؛ فقد وجه الباحثين إلى دراسته وتعريف الناس به ، وأضحت شخصيته بعده شعبية إلى حد ما ، ولو لم يكن من آثاره إلا كتاب اليوم لكفى . وعلنا نحتذى هذه السنة الصالحة ونخلد ذكرى فلاسفة الشرق وعلمائه الآخرين كى نبعثهم من مرقدهم وننشر تراثهم ونلفت الأنظار إليهم ونحلهم فى المحل اللائق بهم . وفوق هذا فى الدكتور ولفنسون نشاط يغبط عليه ؛ وليس نشاطه فى التحدث عن كتبه بأقل من نشاطه فى جمعها وتأليفها ، ولا تكاد تلقاه إلا ويحدثك عن أبحاثه الماضية ومؤلفاته الحاضرة ومشروعاته المستقبلة ؛ وإذا ما ظهر له فى عالم التأليف كتاب خيل إليك أنك تلمح باستمرار على وجهه السؤال الآتى : هل قرأت كتابى ؟ ولسنا ندرى ماذا كان يصنع لو قدر له أن يشتغل بالأعمال المالية والشؤون الاقتصادية ؛ يغلب على ظننا أنه ما كان يُبارى فى هذا المضمار !

ولسنا فى حاجة لأن نؤكد للدكتور ولفنسون أنا قرأنا كتابه الأخير ؛ فهو يعلم أنا عُنينا به وهو لا يزال فى مهده ، وقمنا ببعض الشيء على تنشئته وتكوينه ، وقد ناقشناه غير مرة فى طريقته وأسلوبه وموضوعه ومصادره ؛ وها نحن أولاء مسرورون بظهوره فى ثوبه الحاضر سروراً مزدوجاً ، فيسرنا منه ما فيه من أبحاث قيمة أضافت إلى اللغة العربية ثروة طائلة ، ونغتبط بأن نرى فيه زهرة يانعة شهدنا من قبل ساعة تفتحها وتابعنا أدوار نموها وكمالها . وإذا كنا قد أسررنا بالأمس إلى الدكتور ولفنسون بما لاحظنا على مخطوطته ، فنحن اليوم فى حل من أن نعلن إلى قرائه ما خلفه كتابه فى نفسنا من أثر ؛ والأبحاث العقلية وقف على أصحابها ما لم ينشروها ؛ فان نشرت أصبحت ملكا للانسانية جمعاء

يشتمل كتاب موسى بن ميمون على تصدير ، وأربعة أبواب وفهرس بأسماء المصادر العربية والعبرية والافرنجية . فى التصدير يبين المؤلف الأسباب التى دفعته إلى وضع كتابه ، والطريق الذى سلكه ، والصعوبات التى صادفته ، ويلخص النتائج التى انتهى إليها ؛ وفى الباب الأول يدرس حياة ابن ميمون ويأتى على الظروف المختلفة التى أثرت فى نشأته وتكوين آرائه ، ويعرض فى إسهاب لمشكلة إسلامه مدلياً فيها بأقوال المؤرخين السابقين ومناقشاً لها مناقشة طويلة . وهذا الباب حافل بالمعلومات يدل على اطلاع واسع وبحث مستفيض ، إلا أنه لم يرتب ترتيباً كافياً . وقد عنى فيه بجمع الحقائق وسردها أكثر مما عنى بطريقة عرضها وربط بعضها ببعض . وكنا نود أن يرجع المؤلف العوامل التى أثرت فى حياة ابن ميمون إلى نقط رئيسية يأتى عليها الواحدة بعد الأخرى . نحن لا ننكر أن ملخصه الجامع الذى صدَّر به كل باب من أبوابه حدد بحثه بعض الشيء ؛ ولكن كنا نفضل أن يَقسم هذه الأبواب إلى فقرات يُعَنْون لكل واحدة منها بعنوان خاص ، كما صنع فى مشكلة إسلام ابن ميمون مثلاً [1]

(١) موسى بن ميمون ، ص ٢٧

وهذه الفقرات فى جملتها لا تخرج عن الملخصات الآنفة الذكر . وقد وقف المؤلف على إسلام أسرة ابن ميمون ١٤ صفحة كاملة ؛ وهذا الموضوع هام حقاً وجدير بهذه العناية . غير أنا لا نكاد نجد فيه جديداً ؛ ذلك لأن المؤلف شُغِل بجمع ونقل آراء الباحثين السابقين دون أن يرجح واحداً منها على آخر ترجيحاً واضحاً . والواقع أن هذه المسألة درست من قبل دراسة موسعة ، فلم ير صاحب كتاب موسى بن ميمون بداً من أن ينقل آراء من سبقوه ويعول عليها التعويل كله حتى فى مناقشة النصوص التى عرض لها . ولا يفوتنا أن نشير إلى أنه قد يسهب أحياناً فى سرد هذه النصوص وينقل منها ما يجاوز بحثه ويناقشها مناقشة سطحية . ونعتقد أنه كان فى مقدوره ، وهو ذو خبرة لغوية واسعة أن يشرح النصوص العربية شرحاً أضبط ، ويستكمل ما فات المستشرقين السابقين

وفى الباب الثانى الذى هو أصغر أبواب الكتاب درست مؤلفات ابن ميمون الدينية . وهذا الباب واضح فى جملته ويحتو على ملاحظات ونقد لا بأس به ، وما اتصل فيه بتثنية التوراة والتلمود جيد للغاية . ولا غرو فالمؤلف حين يدرس الفقه والتشريع الاسرائيلى إنما يتكلم عن خبرة تامة ومعرفة حق ؛ فهنا يبدو بجلاء اختصاصه وتمكنه من مادته . هذا إلى أنه أحسن اختيار ما قدمه ؛ فلم يشغل القارىء العربى بتفاصيل جزئية عن الديانة اليهودية قد لا تعنيه كثيراً معرفتها .

والآن ننتقل إلى الباب الثالث الذى هو عمدة الكتاب وأكبر أبوابه ، وقد عنون له المؤلف كالآتى : « فلسفة موسى بن ميمون ومصنفه دلالة الحائرين »[1] . ويخيل إلينا أنه كان الأولى أن يكون عنوانه كما يلى : « دلالة الحائرين وما يحوى من آراء فلسفية ودينية » . فان المؤلف لم يشرح فى هذا الباب فلسفة ابن ميمون شرحاً نظرياً وتاريخياً منظماً ؛ وإنما جعل كل همه أن يلخص كتاب دلالة الحائرين وينقل أهم ما جاء فيه من آراء وأفكار ، ويعطى فكرة عامة عن تاريخ تأليفه والأدوار التى مر بها منذ ابن ميمون إلى اليوم ، ويبين أثره فى العالم الغربى والشرقى . ولئن فاته أن يدرس فلسفة ابن ميمون الدرس اللائق بها لقد وفق توفيقاً كبيراً فى تلخيص كتابه دلالة الحائرين ، ونستطيع أن نقرر أن هذا الملخص الذى يقع فى نحو خمسين صفحة قد يغنى عن قراءة أجزاء دلالة الحائرين الثلاثة . ولم يلخص المؤلف هذا الكتاب بالمعنى ، بل ترك ابن ميمون يعبر فى أغلب الأحايين عن آرائه بنفسه . وفى هذا ما يسمح للقارىء أن يتصل اتصالا مباشراً بالفيلسوف المترجم له . ويجدر بنا أن نلاحظ أننا فى حاجة ماسة إلى طبع دلالة الحائرين بحروف عربية . فنى انتظار هذه الطبعة المنشودة قدم لنا الدكتور ولفنسون فصولا ممتعة من كتاب عربى هام كتب بالعربية دون أن يعرفه كثير من أبنائها . وكل ما يؤخذ على هذا الملخص نقص فى الترتيب وربط المسائل بعضها ببعض أحياناً ، أو قصور فى عرض بعض النقط أحياناً أخرى . ففى صفحة ٥٨ يحكم المؤلف مثلا على الترجمات العربية حكماً غير مبنى على أساس صحيح ، ويشير إشارة ناقصة إلى أثر الفلسفة الاسلامية فى الفلسفة اليهودية . وكنا نتوقع أن يعير هذه المسألة ما تستحق من أهمية ، ولاسيما وهو يدرس شخصية يبدو فيها الأثر الاسلامى بشكل واضح . والتاريخ والواقع يشهدان بأن الفلسفة اليهودية فى جملتها ليست إلا امتداداً للفلسفة الاسلامية . وفى صفحة ١٢١ يتكلم عن أسلوب ابن ميمون ؛ وفى رأينا أنه كان ينبغى أن يقدم هذه النقطة ويبدأ بها قبل الدخول فى تفاصيل كتاب دلالة الحائرين ؛ على أن المؤلف فاته أن يشير إلى جلاء ابن ميمون ، ووضوح لغته ، وعنايته بتوصيل المعنى إلى القارىء ، وطريقته المنطقية البرهانية فى المناقشة والتعليل

وفى الباب الرابع والأخير يدرس المؤلف كتب ابن ميمون الطبية . وهذه تكملة لا بد منها ؛ فان ابن ميمون فوق تشريعه وفلسفته كان طبيباً يشار اليه بالبنان فى علمه وعمله ، وقد خلف كتباً طبية عديدة استفاد منها الشرق والغرب أثناء القرون الوسطى . وقد نجح المؤلف فى التعريف عنها ، وعرض نماذج من موضوعاتها ؛ وإن كان قد فاته أن يبين فى وضوح الصلة بينها وبين المؤلفات الطبية العربية الأخرى المعاصرة لها أو السابقة عليها . وعلى هذه الدراسة ألصق بكتاب طبى منها ببحث تاريخى

وفى الفهرس نرى مجموعة طيبة من المراجع القديمة والحديثة العربية والعبرية والافرنجية التى تتصل بحياة ابن ميمون وآرائه ومؤلفاته . وياليت المؤلف أضاف اليها بعض الملاحظات النقدية

(١) المصدر نفسه ، ص ٥٧

العالم المسرحي والسينمائي

أدب السيناريو

صورة جديدة من الأدب أوجدها الفيلم الناطق

لناقد «الرسالة» الفنى

ظل الأدباء حتى السنين الأخيرة لا يعرفون الفنون والآداب إلا فى صورها القديمة من الشعر والنثر الفنى والقصص التمثيلى وغير التمثيلى . وظهرت صورة جديدة من الأدب فى القصة القصيرة ، وهى على رغم انتشارها وذيوعها ليست جديدة وإنما هى صورة مصغَّرة من القصة الطويلة ، أو هى قصة ملخصة تلخيصاً حكيما

واخترعت السينما الناطقة فرأينا القصص تعرض على اللوحات ولم يؤثر هذا الاختراع أى تأثير فى العالم الأدبى حتى ظهرت السينما الناطقة فسمعنا الممثلين ينطقون بحوار فنى وضعه المؤلفون من أكبر رجال الأدب والفن فى العالم

بعض هذه القصص بما تحوى من حوار مقتبس عن قصص معروفة ، ولكنه يظهر فى صورة خاصة وترتيب فنى جديد لم يألفه الناس وعرف بالسيناريو

والسيناريو كلمة أطلقها رجال السينما على القصة السينمائية فى وضعها الخاص الذى يعاون المصور والمدير الفنى ومساعديه على القيام بمهمتهم فى سبيل إخراج فيلم من الأفلام

ظلت هذه الصورة الجديدة لا يعرفها الناس وكأنها سر من الأسرار ، وكان المتلهفون على المجلات السينمائية وكتب السينما يعرفون القليل عنها من أمثال بسيطة يضربها المؤلفون والكتاب فى بعض ما يكتبون ، حتى جازفت إحدى دور النشر فى أوربا وقامت بطبع أكثر من سيناريو فكان هذا العمل الجرىء هو الباعث على ظهور هذه الصورة الجديدة من الأدب

أقبل الناس على قراءة هذه الكتب للتسلية والدرس ،

التى تبين قيمتها العلمية وما احتوت من أبحاث مفيدة . وعلى كل فهذا الفهرس ثمرة من ثمرات اطلاعه الواسع ، وأداة صالحة من أدوات البحث والدراسة . وسيجد فيه القراء والمطلعون نبراساً يستضيئون به فى ظلمات القرون الوسطى ، وهاديا يرشدهم إن أرادوا التوسع فى بعض النقط التاريخية والفلسفية

هذا هو كتاب موسى بن ميمون فى محتوياته . وأما أسلوبه فمقبول فى جملته ، وإن أعوزه شىء من العناية والدقة . وأما مصادره — على الرغم من تعددها وحسن اختيارها — فلم تستخدم استخداماً كافيا . ونعتقد أنه لو كان المؤلف قد تريث أكثر فى دراستها ، ودقق أطول فى قراءتها ، لأخرج لنا عن ابن ميمون بحثاً أشمل وأوسع

ومهما يكن من اعتراض يمكن أن يوجه إلى كتابه فإنا لا نتردد مطلقا فى أن نقرر أنه ضم إلى سلسلة أعماله المتواصلة حلقة ذهبية ناصعة . وهو من غير شك ، كما قرر فضيلة الأستاذ الشيخ مصطفى عبد الرازق فى المقدمة التى قدم له بها « ثمرة جهد كبير فى الاطلاع على مراجع مختلفة فى لغات شتى [1] » وإذا لاحظنا أنه يدرس شخصية جليلة من كبار المفكرين الذين تربوا فوق أرض الاسلام وتحت سمائه أكبرنا ما له من قيمة ؛ وسيستعين به أصدقاء الفلسفة الاسلامية وطلابها على تفهم كثير من الآراء والأفكار العربية . وأملنا كبير فى أن يتحفنا الدكتور ولفنسوز وهو مؤرخ استكمل وسائل البحث التاريخى ، بمؤلفات أخرى تكشف الغطاء عن فلسفة القرون الوسطى اليهودية

ابراهيم مدكور

(١) المصدر نفسه

وهناك من المؤلفين والكتاب من كانت لديهم الموضوعات التى تصلح وتليق بأكبر الأفلام ، ولكن جهلهم بشؤون السينما وعدم تمكنهم من التفصيلات كثيرا ما صرفهم عن السير فى هذا السبيل ، فظهور هذه المطبوعات أفادهم فائدة كبيرة ، فهى فى الحقيقة شرح تفصيلى عملى يمكنهم من فهم السيناريو وطريقة وضعه

وليست فائدة هذه المطبوعات قاصرة على هذا وحده ، فقارئ السيناريو يجد لذة كبيرة فى تلاوة قصة سبق له أن شاهدها على ستار السينما

قرأت أكثر من كتاب واحد مما أخرج ، وأقرر أننى وجدت تسلية كبيرة فيما قرأت ، وخرجت بفائدة لم أكن أحلم بها ، فقد جعلتنى أفهم السينما على حقيقتها وأعرف دقائقها تمام المعرفة إذ وجدت تطبيقا عملياً على كل ما قرأت من الكتب الخاصة بالسينما وأحوالها

فهذه الصورة الجديدة من الأدب تدين بخلقها الى الفلم الناطق ، وأنا زعيم بأن الأدباء سوف يجدون فى هذه الصورة ما يرضى ميولهم ويدفعهم الى تأليف السيناريو . ولقد كتب المؤلفون قصصاً تمثيلية وقاموا بطبعها قبل أن يعرضوها على الفرق التمثيلية ووجدت من الرواج والاقبال ما يعوض على الكاتب مجهوده ؛ وأعتقد أننا سوف نرى فى القريب من المؤلفين من يقوم بطبع « سيناريو » قبل أن تقوم شركة من الشركات باخراجه ، وسوف يقبل الناس على تلاوته بدافع اللذة والتسلية

وهكذا يضيف الفلم الناطق صورة جديدة الى الآداب والفنون

يوسف

فى الفرقة القومية

تأكدت لدينا استقالة الأستاذ زكى طليمات من الفرقة القومية المصرية فهو قد قدم فعلاً استقالة إلى الأستاذ خليل بك مطران مدير الفرقة ، وسوف تعرض على لجنة ترقية المسرح المصرى فى أول اجتماع لها ، وقد كان من المنتظر أن تعقد اللجنة اجتماعاً فى تمام الخامسة بعد ظهر يوم الأربعاء الماضى ولكنه أجل لتغيب معالى رئيس اللجنة حافظ عفيفى باشا فى الأسكندرية

وقد رفع الأستاذ طليمات أيضاً إلى معالى وزير المعارف التماساً يرجو فيه إلغاء انتدابه فى الفرقة القومية المصرية

ولسنا ندرى حقيقة الأسباب التى دفعت الأستاذ طليمات إلى تطليق المسرح والفرقة القوميــة التى طالما تمنى قيامها وعمل كثيراً فى سبيل إنشائها ، فالاشاعات كثيرة : منها أن هنالك من يضع فى طريقه العقبات وأن بين رجال الفرقة من يعمل على الحد من السلطة التى كانت له فى الموسم الماضى ويذكرون مسائل معينة للتدليل على صحة ما يقولون

والسبب المباشر فى استقالته أنه تقرر سحب رواية الجريمة والعقاب التى نقلها إلى العربيــة الدكتور الشاعر ابراهيم ناجى والممثل فتوح نشاطى بعد أن استعد لها وأتم دراستها واختار لنفسه أحد أدوارها ، وقد عهد باخراج هذه الرواية إلى الأستاذ عزيز عيد ، وكان الدور الذى اختاره الأستاذ طليمات لنفسه من نصيب الأستاذ حسين رياض

وقد يرى القارىء الملم بالوسط المسرحى المصرى أن هذا التصرف عادى فى الفرق ولهذا فان دهشتهم لتقديم الاستقالة كانت كبيرة ، ولكن المتصلين بالأستاذ طليمات يقولون إن هذا الحادث هو القشة التى قصمت ظهر البعير

ونحن يسوؤنا جدا أن تنتهى المسألة بهذه النتيجة المؤلمة ، ونحن نأسف جد الأسف على خروجه من الوسط المسرحى ونعد اعتزاله خسارة كبيرة فهو المخرج الوحيد فى مصر الذى درس فن الاخراج والتمثيل فى أوربا دراسة تهيئه لأن يتولى هذه المهمة فى مصر ، وهو إلى جانب هذا أديب مطلع لا نجد بين الممثلين أكثر من اثنين فى مثل اطلاعه وإخلاصه للفن

والمسرح المصرى فى هذه الفترة فى حاجة إلى توحيد الجهود لاقالته من عثرته . وخروج الأستاذ طليمات يضعف من الجهود التى تبذلها اللجنة ورجالها المحترمون . ونحن نرجو مخلصين أن يعدل الأستاذ طليمات عن هذه الاستقالة ، وأن تمهد له اللجنة الطريق إلى سحبها بأن تزيل ما فى النفوس من الصغائر التى تفسد الجو المسرحى ، كما نرجو ألا يوافق معالى وزير المعارف وسعادة وكيل الوزارة الأستاذ العشماوى بك على إلغاء انتدابه

يوسف